التعليقات اللطيفة

على

العقيدة الطحاوية

تأليف

أبي عبدالله عبدالرحمن بن عبدالمجيد الشميري

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ

دار العاصمـــــــة للنشـــــــر والتوزيـــــــع

اليمن صنعاء شارع تعز جوار جامع الخير

ت(٠١٦٣٣٨٠٦) سيار(٧٧٧٧١١٤٢٥)

مقدمة شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

تصفحت تعليق أخينا الشيخ عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري على متن "الطحاوية" فرأيت ما اطلعت عليه منه تعليقًا طيبًا وبالله التوفيق

كتبه:

يحيى بن علي الحجوري

١٤٣٦/٦/٧هـ



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فهذه تعاليق مختصرة على "العقيدة الطحاوية" اقتبستها من شروح أهل العلم عليها وعلى غيرها، وكان الحامل لي على إخراجها أنَّ الله يسَّر لي تدريسها في(دار الحديث بدماج)؛ فرغب بعض الإخوة في إخراجها؛ فأجبتهم إلى ذلك مشاركة في نشر العلم والخير أسأل الله أنْ ينفع بذلك الإسلام والمسلمين، وأنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

كتبه: أبو عبد الله

عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري

١٨ /١٠/ ١٤٣١هـ.

نص:

[العقيدة الطحاوية]

متن كتاب "العقيدة الطحاوية"

قَالَ الْعَلاَّمَةُ حُجَّةُ الاسْلام أَبُو جَعْفَرٍ الْوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ -بِمِصْرَ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ ابْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ:

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ الله -مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله-:

❁ إِنَّ الله وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ لا يَفنَى ولا يَبيدُ ولا يكونُ إلا ما يُريدُ.

❁ لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفهام، وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ، حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ، مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ(الْخَالِقِ)، وَلا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ(الْبَارِي)، لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلا مَخْلُوقَ، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

❁ خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا وَضَرَبَ لهم آجالاً ولم يَخْفَ عليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم. وَعَلِمَ ما هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَهُم وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِهِ.

❁وَكَلُّ شيءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِه، وَمَشِيئتِه، وَمَشِيئَتِه تَنْفُذ لَا مَشِيئَة لِلعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُم؛ فَمَا شَاءَ لَهُم كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأ لَمْ يَكُن.

❁ يَهدِي مَنْ يَشَاء، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضلًا، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخذِلُ وَيَبْتَلِي عَدلًا وكُلُّهم يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِه بَينَ فَضلِهِ وَعَدلِه، وَهُوَ متعالٌ عَنِ الأَضْدادِ والأَندادِ لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقبَ لِحُكمِهِ، وَلَا غَالبَ لِأَمرِه آمنَّا بِذَلِك كلِّه وَأَيقَنَّا أنَّ كلًا من عنده.

❁ وإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى، وإنَّه خَاتمُ الأنبياءِ، وإِمَامُ الأتْقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ، وحَبيبُ ربِّ العالَمين، وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى، وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بالحَقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء.

❁ وإِنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَا بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأنْزلَه على رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ اللهُ وعابَهُ وأوعدَهُ بسَقَر، حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]؛ فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٥]. عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أَنَّه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنًى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر؛ فمن أَبْصَرَ هذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر.

❁ والرُّؤْيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ ولا كَيْفيَّةٍ، كما نَطَق به كتابُ ربِّنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله تعالَى وَعَلِمَهُ.

❁ وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو كما قال، وَمَعناهُ على ما أراد، لا نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوَائنَا؛ فإنَّهُ مَا سَلِم في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّ علْمَ ما اشْتبَهَ

عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلامِ إلا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالاسْتِسْلامِ؛ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، زَائِغًا شَاكًّا، لا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلا جَاحِدًا مُكَذِّبًا وَلا يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لأَهْلِ دَارِ السَّلامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ وعليه دين المسلمين وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا -عز وجل- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

۞ وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

۞ وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]؛ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

۞ وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لأُمَّتِهِ- حَقٌّ.

۞ وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

۞ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

۞ وَالأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ

الله.

❁ وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ الله تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

❁ وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ الله تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلا يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

❁ وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ الله تَعَالَى فِيهِ؛أنه غير كائن لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

❁ وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ، وَلا مُزِيلٌ وَلا مُغَيِّرٌ، وَلا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ والاعتراف بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨]؛ فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لله تَعَالَى

فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

❁ وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

❁ وَنقُولُ: إِنَّ الله اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا.

❁ وَنُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

❁ وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

❁ وَلا نَخُوضُ فِي الله، وَلا نُمَارِي فِي دِينِ الله.

❁ وَلا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ كَلامُ الله تَعَالَى لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

❁ وَلا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

❁ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلا نُقَنِّطُهُمْ.

❁ وَالأَمْنُ وَالإِيَاسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الاسْلامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

❁ وَلا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

❁ وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

❁ وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

❁ وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلازَمَةِ الأَوْلَى.

❁ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

❁ وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَى.

وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ.

❁ وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ -عز وجل- فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]. وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلايَتِهِ اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسلام وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.

❁ وَنَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

❁ وَلا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلا نَارًا، وَلا نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله تَعَالَى.

❁ وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

❁ وَلا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلا

نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ الله -عز وجل- فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

❁ وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ.

❁ وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

❁ وَنَقُولُ: الله أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

❁ وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

❁ وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلا يَنْقُضُهُمَا.

❁ وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

❁ وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

❁ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً وَنُؤْمِنُ بَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

❁ وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

❁ وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ.

❁ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلا تَبِيدَانِ؛ فإن الله تعالى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

❁ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

❁ وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لا يُوصَفُ الْمَخْلُوقُ

بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ.

وَأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

❁ وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ الله، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

❁ وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ الله تَعَالَى إِلا مَا يُطِيقُونَ، وَلا يُطِيقُونَ إِلا مَا كَلَّفَهُمْ.

❁ وَهُوَ تَفْسِيرُ:(لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله)نَقُولُ: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلا حَرَكَةَ لأَحَدٍ، وَلا تَحَوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله إِلا بِمَعُونَةِ الله، وَلا قُوَّةَ لأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ الله وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلا بِتَوْفِيقِ الله.

❁ وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٣].

❁ وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ.

❁ واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

❁ وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالى طَرْفَةَ عَيْنٍ وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

❁ واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

❁ وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

۞ وَنُثْبِتُ الْخِلافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلاً لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَفْضِيلاً لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ الْمُهْتَدُونَ.

۞ وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وهم:

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو: أمين هذه الأمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

۞ وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

۞ وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الْخَيْرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لا يُذْكَرُونَ إِلا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

۞ وَلا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

۞ وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

۞ وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، وَنُزُولِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

۞ وَلا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلا عَرَّافًا، وَلا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

۞ وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَاباً، والفُرْقَةَ زَيْغاً وَعَذَابًا.

۞ وَدِينُ الله فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإسْلامِ، قَالَ الله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

۞ وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الأمْنِ وَالْيَأْسِ.

۞ فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَآءُ إِلَى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَآءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

۞ ۞ ۞

التعليقات اللطيفة

على

العقيدة الطحاوية

أقسام التوحيد وتعريفه

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ الله)

قوله:(**نَقُولُ**):أي: نعتقد.(**فِي تَوْحِيدِ الله**). **التوحيد**: **لغة**: مصدر وحد: إذا جعل الشيء واحدًا. **وشرعًا**: إفراد الله بما يختص به من الربوبية و الألوهية والأسماء والصفات.

أقسامه: ينقسم التوحيد **إلى ثلاثة أقسام: الأول**: توحيد الربوبية. **الثاني**: توحيد الألوهية. **الثالث:** توحيد الأسماء والصفات. وقد اجتمعت في قول الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم: ٦٥]، فقوله ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ دليل على توحيد الربوبية، وقوله﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: دليل على توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾: دليل على توحيد الأسماء والصفات.

فالقسم الأول: توحيد الربوبية: وهو: إفراد الله في أفعاله كالخلق والملك والتدبير قال تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، وقال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]؛ فهذا دليل انفراده بالخلق، وما جاء من إثبات خالق غير الله كقوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٤]،

❁ وحديث: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» رواه البخاري(رقم:٥٩٥١)، ومسلم(رقم:٢١٠٨) من حديث ابن عمر

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فهذا ليس خلقًا حقيقةً، وليس إيجادًا بعد عدم، وإنَّما هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضًا ليس شاملًا بل محصور بما يتمكن منه الإنسان.

❁ وأمَّا إفراد الله بالملك فقد قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[آل عمران: ١٨٩].

❁ **وما ورد من إثبات الملكية لغير الله** كقوله تعالى ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦] ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾[النور: ٦١]، فهو ملك محدود لا يشمل إلا شيئًا يسيرًا من هذه المخلوقات؛ فالإنسان يملك ما تحت يده ولا يملك ما تحت يد غيره، وأيضًا هو ملك قاصرٌ؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن له فيه شرعًا.

❁ وأما إفراد الله تعالى بالتدبير، فقد قال الله تعالى ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٣١].

❁ **وأما تدبير الإنسان؛** فمحصور بما تحت يده ومحصور بما أذن له فيه شرعًا، وهذا التَّوحيد لم ينكره أحدٌ إلا فرعون والذي حاجَّ إبراهيم، والدهرية والشيوعية، وهم مقرون في أنفسهم أنَّ الرب هو: الله. قال الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: ١٤].

القسم الثاني:توحيد الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء: ٣٦]. وهذا التَّوحيد من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]. وهذا التَّوحيد هو الذي أنكره المشركون ولم يقروا به فقاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجلِّه،ولا يكون الإنسان مسلمًا إلا إذا اعتقده وعمل به

وإنْ أقرَّ بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو: إفراد الله عزوجل بما له من الأسماء والصفات.

تعريف العقيدة والتوفيق

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله إِنَّ الله وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ)

قوله: (مُعْتَقِدِينَ): العقيدة: لغة: من العقد نقيض الحل. **واصطلاحًا** هو: حكم الذِّهن الجازم؛ فإنْ طابق الواقع؛ فصحيح، وإنْ خالفه ففاسد، والواقع هو: الكتاب والسنة. **قوله: (بِتَوْفِيقِ الله)**: هذا تسليم لله وتبرؤٌ من الحول والقوة. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين"(١/ص:٤١٤): **والتوفيق**: إرادة الله من نفسه أنْ يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأنْ يجعله قادرًا على فعل ما يرضيه مريدًا له محبًّا له مؤثرًا له على غيره، ويبغض إليه ما يسخطه ويكرهه إليه». اهـ.

قوله: (الله وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ): أي: واحد في ربوبيته، وواحد في ألوهيته، وواحد في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١].

قوله: (وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ): قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]، وقال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ٤]، وقال تعالى﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٢]، أي: أمثالاً ونظراء، وقال تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٧٤].

❁ وفي هذا رد على الممثلة الذين غلوا في الإثبات حتى مثلوا وفي مقابلهم المعطلة غلوا في التنزيه حتى نفوا الأسماء والصفات فرارًا من التَّشبيه بزعمهم.

قوله: (**وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**): وهذا لكمال قدرته قال الله تعالى﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾[فاطر: ٤٤]. وقال تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[البقرة: ٢٠].

أركان لا إله إلا الله وشروطها

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ**)

هذا هو توحيد الألوهية و(**وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ**) أي: لا معبود بحق غيره.

❁ ولهذه الكلمة ركنان النفي والإثبات، فالإثبات المجرد(الله، إله) لا يفيد حصر العبادة له سبحانه وتعالى.

❁ ولها **شروطٌ ثمانية الأول**: العلم بمعناها نفيا وإثباتا. **الثاني**: استيقان القلب بها. **الثالث**: الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا. **الرابع**: القبول لها فلا يرد شيئًا من لوازمها ومقتضياتها. **الخامس**: الإخلاص فيها. **السادس**: الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط. **السابع**: المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها. **الثامن**: الكفر بما يعبد من دون الله.

❁ فدليل اشتراط العلم:

❁ قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي: بـ(لا إله إلا الله)، ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]: بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**». رواه مسلم(رقم:٢٦) عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ودليل اشتراط اليقين:

۞ قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ**﴾[الحجرات: ١٥].

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». رواه مسلم(رقم:٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» رواه مسلم(رقم:٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ودليل اشتراط الانقياد:

قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[لقمان: ٢٢]، ومعنى يسلم: أي:يستسلم وينقاد.

۞ ودليل اشتراط القبول:

۞ قول الله تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ إلى قوله﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٢٢- ٣٥].

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ**

فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»

رواه البخاري(رقم: ٧٩)ومسلم(رقم:٢٢٨٢)عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ودليل اشتراط الإخلاص:

قول الله تعالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾[الزمر: ٢].

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**» رواه البخاري(رقم:٩٩)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**» رواه البخاري(رقم:٤٢٥)، ومسلم(رقم:٣٣) عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ودليل الصدق:

۞ قول الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت: ١ - ٣]، إلى آخر الآيات.

۞ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**» رواه البخاري (رقم: ١٢٨)، ومسلم(رقم:٣٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ودليل اشتراط المحبة:

۞ قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾[المائدة: ٥٤].

❁ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».رواه البخاري(رقم:٢١)، ومسلم (رقم:٤٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ودليل الموالاة لله والمعاداة لأجله:

قول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[المائدة: ٥١ – ٥٥]

❁ ودليل الكفر بما يعبد من دون الله:

❁ قول الله تعالى﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٥٦].

❁ وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» رواه مسلم(رقم:٢٣) عن طارق ابن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هل من أسماء الله القديم

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ لا يَفنَى ولا يَبِيدُ)

۞ قال الله تعالى﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[الحديد: ٣]. وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»رواه مسلم(رقم:٢٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

۞ وعبارة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي: معنى اسم الله (الأول)، و(الآخر)، ولكن التَّعبير بـ(القديم) من جهة التَّسمية خطأٌ؛ لأنَّه ليس من أسماء الله.

۞ وما ورد عند ابن ماجه(رقم: ٣٨٦١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا: «أنَّ من أسماء الله القديم»، فهو حديثٌ ضعيفٌ في سنده: عبد الملك بن محمد الصنعاني وهو: ضعيف، وقد ضعفه شيخنا الوادعي والشيخ الألباني رحمهما الله.

۞ وأيضًا ليس من الأسماء الحسنى؛ لأنَّ القديم في لغة العرب هو: المتقدم على غيره، ولم يستعملوه فيما لم يسبقه عدم قال تعالى﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[يس: ٣٩]

والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني؛ فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم.

والذي سمى الله بالقديم هم: أهل الكلام وأنكر هذا الاسم كثير من السلف والخلف منهم ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فعلِم أنَّ الأول أفضل من القديم؛لأنَّ الأول ليس قبله شيء والقديم يكون قبله شيء ويضاف إلى ذلك أن الأول هو الذي ثبت أنه من أسماء الله بخلاف القديم فإنه ليس بثابت.

۞ والتعبير بـ(**الدائم**) من جهة التَّسمية كذلك أيضا خطأ؛ لأنه لم يثبت أنه من أسماء الله ويغني عنه اسم الله (الآخر).

قوله: (لا يَفنَى ولا يَبِيدُ) قال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٦ – ٢٧]، وقال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨] وقال تعالى﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، والفناء والبيد بمعنى واحد.

أنواع الإرادة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ولا يكونُ إلا ما يُريدُ لا تَبْلُغُهُ الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفهام، وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ)

أي: لا يكون شيء إلا بإرادته الكونية، ففي هذا رد على القدرية النُّفاة القائلين بأنَّ العبد يخلق فعله، وأنَّ الله ليس له في فعل العبد إرادة ولا مشيئة ولا خلق ولا تقدير.

۞ **والإرادة نوعان:- شرعية وكونية:**

۞ **فالشرعية:** بمعنى المحبة قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ٢٧]، وقال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[النساء: ٢٨] فهذه إرادة شرعية تتضمن المحبة والرضى.

۞ **والكونية** بمعنى المشيئة قال تعالى﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقال عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[هود: ٣٤].

۞ **فالفرق بين الإرادة الشرعية والكونية فيما يلي:**

أولا: الإرادة الكونية هي: المشيئة فهي متعلقة بالربوبية، والإرادة الشرعية هي: المحبة؛ فهي متعلقة بالألوهية.

ثانيًا: الإرادة الكونية لابد من وقوعها، والشرعية قد تقع وقد لا تقع.

ثالثًا: الكونية قد تكون محبوبة، و قد لا تكون محبوبة لله، والشرعية لا تكون إلا محبوبة إلى الله.

قوله: (**لا تَبْلُغُهُ الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفهام**): الأوهام: جمع وهم وهي: الظنون والأفهام جمع فهم وهي: العلوم أي: لا ينتهي إليه، وهم ولا يحيط به علم، فلا يعلم كيفية الله إلا هو، وإنَّما نعرفه بصفاته قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠].

قوله: (**وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ**): هذا ردٌّ على الممثلة الذين يمثلون الخالق بالمخلوق قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] وليس المراد من الآية نفي الصفات كما قال أهل البدع؛ فقوله بعدها﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] ردٌّ عليهم.

قال نعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من شبه**[1] **الله بشيء من خلقه فقد كفر، و من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه**». رواه اللالكائي في "شرح السنة" (رقم:٩٣٦) **بإسناد صحيح**.

وقال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم**» رواه اللالكائي في "شرح السنة" (رقم:٩٣٧) **بإسناد صحيح**. و(**الأنام**) هم: النَّاس قال تعالى ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن: ١٠].

---

(١) أي مَثَّلَ.

الحي القيوم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ)

۞ قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥].

۞ وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله لا يَنَام ولا ينبغي لَهُ أنْ يَنَام**» رواه مسلم (رقم:١٧٩) عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ؛ فالله متصف بالحياة الباقية الدائمة.

۞ و(**القيوم**) هو: القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، المقيم لغيره، فكل مخلوق مفتقر ومحتاج إليه.

۞ و(**الحي القيوم**) من أعظم الأسماء الحسنى، وبعض العلماء يقول: إنهما الاسم الأعظم. و(القيوم) أبلغ من (القيَّام) لأنَّ الواو أقوى من الألف.

۞ و(القيَّام) قد جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا تهجد من الليل» قال: «**لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» رواه البخاري(رقم:١١٢٠)، ومسلم(رقم:٧٦٩).

۞ وهذان الاسمان عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها؛ فإنَّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة.

وأما (**القيوم**) فهو: متضمنٌ كمال غناه وكمال قدرته؛ فإنَّه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

الخالق الرازق

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ)

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[فاطر: ١٥]، وقال عز وجل ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[الأنعام: ١٤].

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عز وجل: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**» رواه مسلم (رقم:٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. ومعنى: (**بِلا مُؤْنَةٍ**) أي: بلا ثقل ولا كلفة.

الموت والبعث

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ)

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[المؤمنون: ٨٠]؛ فهو سبحانه يميت الأحياء إذا كملت آجالهم، لا لأنه خائفٌ منهم ولا ليستريح منهم، ولكن ذلك لحكمة؛ لأنَّ الحياة الدنيا لها نهاية، والآخرة ليس لها نهاية.

وقوله: (مميت وباعث): قد يتوهم منه أنَّهما من أسماء الله، وليس كذلك بل هما من صفاته وأفعاله.

۞ والموت صفة وجودية خلافًا للفلاسفة قال تعالى﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك: ٢]، والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا.

۞ **أما الفلاسفة** فيرونه أمرًا عدميًا فهو عندهم عدم الحياة، ومعنى خلق الموت في الآية تقديره: إزالة الحياة.

۞ **والبعث حق** قال تعالى ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[التغابن: ٧].

۞ وإنَّما أنكره المشركون استبعادًا منهم لذلك، كما قال الله تعالى ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[يس: ٧٨] قال سبحانه﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[يس: ٧٩] أول مرة أوجدها من العدم؛ فالذي خلقها من العدم أليس بقادر على إعادتها من باب أولى. وقال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[الزمر: ٦٨]. وهي نفخة البعث.

فالأولى: نفخة الصعق والموت، و**الثانية**: نفخة البعث.

صفات الله تعالى أزلية أبدية

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْخَالِقِ)، وَلا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ(الْبَارِي)، لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى (الْخَالِقِ)

وَلا مَخْلُوق، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ (الْخَالِقِ) قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ)

وقوله: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ**) أي: أنَّ الله متصف بصفات الكمال في الأزل قبل خلقه فلم يكن أولاً بلا صفات ثم حدثت له الصفات؛ فلا يجوز أنْ يعتقد أنَّ الله وُصِف بصفة بعد أنْ لم يكن متصفًا بها؛ لأنَّ صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص.

❁ **وأما الصفات الفعلية**؛ فإنَّها قديمة النوع حادثة الآحاد؛ فلا يطلق على الصفة الفعلية أنَّها حدثت منه بعد أنْ لم يكن متصفًا بها، ألا ترى أنَّ من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال إنَّه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصِّغر والخرس ثم تكلم يقال حدث له الكلام؛

❁ فالسَّاكت لغير آفةٍ يسمى متكلمًا بالقدرة بمعنى أنَّه يستطيع أنْ يتكلم متى شاء، وفي حال تكلُّمه يُسمَّى متكلمًا بالفعل وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل ولا يخرج عن كونه كاتبًا في حال عدم مباشرته للكتابة.

❁ قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والشيخ أشار بقوله –ما زال بصفاته قديما قبل خلقه– إلى آخر كلامه. إلى الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة؛ فإنَّهم قالوا: إنَّ الله صار قادرًا على الفعل والكلام بعد أنْ لم يكن قادرًا عليه؛ لكونه صار الفعل والكلام ممكنًا بعد أنْ كان ممتنعًا.

❁ وعلى ابن كلاَّب والأشعري ومن وافقهم؛ فإنهم قالوا: إنَّ الفعل صار ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا منه، وأمَّا الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته، وأصل هذا الكلام من الجهمية؛ فإنَّهم قالوا: إنَّ دوام الحوادث ممتنع

وإنَّه يجب أنْ يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها.اهـ.

وقوله: (لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ) أي: خلق الخلق ولا نقول لم يصر خالقًا إلا بعد أنْ خلقهم بل هو يسمى خالقًا من الأزل لا بداية لذلك، أمَّا خلقه؛ فإنَّها هو متجدد. وقوله: (وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا) أي: كما أنَّه موصوف بصفاته أزليًا يعني لا بداية لذلك كذلك صفاته تلازمه سبحانه في المستقبل، فهو بصفاته أبديٌّ لا نهاية له كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«أنت الآخر فليس بعدك شيء»[1] باسمك وصفاتك ولا يقال: إنَّ هذه الصفات تنقطع عنه في المستقبل بل هي ملازمة له سبحانه وتعالى.

وقوله: (لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ (الْخَالِقِ)): هذا توضيح وتكرار لما سبق. وقوله: (وَلا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ(الْبَارِي)) من أسمائه تعالى الباري يعني: الخالق برى الخلق يعني خلقهم فهو الباري، وهذا الاسم ملازم لذاته ليس له بداية.

وقوله: (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى (الْخَالِقِ) وَلا مَخْلُوقَ) يعني: أنَّ الله موصوف بأنه الرب قبل أنْ يوجد مربوب، وموصوف بأنَّه خالق قبل أنْ يوجد مخلوق.

وقوله: (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ (الْخَالِقِ) قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ) يعني: أنَّه سبحانه وتعالى موصوف بأنَّه محيي الموتى قبل إحيائهم؛ فكذلك يوصف بأنَّه خالق قبل خلقهم إلزامًا للمعتزلة، ومن قال بقولهم القائلين بأنَّ الله صار قادرًا على الفعل بعد أنْ لم يكن قادرًا عليه.

---

(١) هذا قطعة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح مسلم"(رقم:٢٧١٣).

صفة القدرة

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١])

قوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ): ذلك إشارة إلى ثبوت صفة القدرة في الأزل قبل خلقه، وقد حرَّفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٨٤]، فقالوا: إنَّه قادرٌ على كلِّ ما هو مقدورٌ له، وأمَّا نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم، ومعنى قولهم: (قادرٌ على كل ما هو مقدور له): أنَّه لا يقدر على ما ليس مقدورًا له بمعنى أنَّه ليس على كل شيء قدير فأفعال العباد لا يقدر عليها.

وقوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ) قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥]؛ فالأولياء فقراء إلى الله، فمن قال: إنَّ لهم قدرة على التصرف في الكون، وأنَّهم ينفعون أو يضرون من دون الله، فهذا من قول الكفار والمشركين فليس لهم ولا للرسل والملائكة غنى عن الله.

وقوله: (وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ) قال تعالى﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، فهو يفعل ما يشاء بدون كلفة ولا مشقة بخلاف المخلوق؛ فإنَّه يتكلف فعل الأشياء أو يعجز عنها.

وقوله: (لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ): لكمال غناه عن كل شيء.

وقوله: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾): الكاف في (**كمثله**): صلة وتوكيد فـ(مثله: خبر ليس (وشيء): اسمها. والآية في أولها: رد على الممثلة، وفي

آخرها: رد على المعطلة.

الخلق والقدر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لهم آجَالاً ولم يَخْفَ عَليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم، وَعَلِمَ ما هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم، وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِه).

وقوله: (خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِهِ) أي: خلق خلقه عالمًا بهم قال تعالى﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

وقوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) قال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[القمر: ٤٩]. وقال عز وجل﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾[الأحزاب: ٣٨].

۞ وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» رواه مسلم(رقم:٢٦٥٣).

۞ **والمراد بالقدر شرعا هو:** أنَّ الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنَّه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته.اهـ. قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح"(١/ص:٢٦).

وقوله: (وَضَرَبَ لهم آجَالاً) يعني: أنَّ الله قدَّر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا ﴾[آل عمران: ١٤٥].

۞ وفي "صحيح مسلم"(رقم:٢٦٦٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال:

قالت أم حبيبة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «اللّهم أمتعني بزوجي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية» فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**»؛

❁ فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

❁ **وأما المعتزلة**؛ فإنَّهم يقولون: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان، وهذا باطل؛ لأنَّه لا يليق أنْ ينسب إلى الله تعالى أنَّه جعل له أجلا يعلم أنَّه لا يعيش إليه أبدًا، أو يجعل أجله أحد الأمرين كفعل الجاهل بالعواقب.

وقوله: (**ولم يَخْف عَليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم، وَعَلِمَ ما هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم**): إنَّه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما قال الله تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨]. وقال تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال: ٢٣]، وفي ذلك ردٌّ على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أنْ يخلقه ويوجده.

وقوله: (**وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِه**): (الطاعة): فعل المأمور و(المعصية): ارتكاب المحظور.

وذِكْرُ الإمام الطحاوي: الأمر والنهي بعد ذِكْرِه الخلق والقدر إشارة إلى أنَّ الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَكُلُّ شيءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِه، وَمَشِيئَتِه، وَمَشِيئَتِه تَنْفُذ لَا مَشِيئَة لِلعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُم؛ فَمَا شَاءَ لَهُم كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُن)

قوله: (وَكُلُّ شيءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِه): قال الله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[القمر: ٤٩]؛ فليس في ملكه شيء لم يقدِّره ولا يريدُه فلا يخرج شيء عن تقدير الله سواء كان خيرًا أم شرًا طاعةً أم معصيةً كفرًا أم إيمانًا.

وقوله: **(وَمَشِيئَتِه، وَمَشِيئَتِه تَنْفُذ لَا مَشِيئَة لِلعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُم؛ فَمَا شَاءَ لَهُم كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُن)** قال تعالى﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩]. فالله له مشيئة، والعبد له مشيئة، ولكن مشيئة العباد مربوطة بمشيئة الله لا مستقلة، وفي هذا ردٌّ على القدرية والجبرية؛ فـ(**القدرية**): ينفون مشيئة الله لأفعال العباد، ويجعلون العبد مستقلاً بمشيئته وأفعاله وإرادته، و(**الجبرية**) يقولون: العبد ليس له مشيئة وإنَّما المشيئة لله فقط، والعبد يتحرك بدون اختياره وإرادته.

وأما (**أهل السنة والجماعة**)؛ فإنَّهم يثبتون المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله أخذًا من الآية ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾[التكوير: ٢٩]، ففيها إثبات مشيئة العباد، وقوله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩]. فيه: إثبات مشيئة الله، وفي الآية أنَّ مشيئة العبد ليست مستقلة، وإنَّما هي مربوطة بمشيئة الله؛ لأنَّه خلق من خلق الله خلقَه وخلقَ مشيئتَه وإرادتَه.

سلطان الهداية والضلال من الله تعالى

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(يَهدِي مَنْ يَشَاء، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضلًا، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيخذِلُ وَيَبْتَلِي عَدلًا وكُلُّهم يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَينَ فَضلِهِ وَعَدلِهِ، وَهُوَ متعالٌ عَنِ الأَضْدادِ والأَندادِ لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقِبَ لِحُكمِهِ، وَلَا غالبَ لِأَمرِه آمنًا بِذَلِك كلِّه وَأَيقنًا أنَّ كلًّا من عنده)

قوله: (يَهدِي مَنْ يَشَاء، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضلًا، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيخذِلُ وَيَبْتَلِي عَدلًا): هذا ردٌّ على المعتزلة في قولهم: بـ(وجوب فعل الأصلح للعبد على الله)؛ فإذا كلفه بأمرٍ فامتثله فلا بدَّ من إثابته عليه، وإذا أصابه بأذى، فلا بدَّ أنْ يجعل الأذى محققًا لصلاحه ومنفعته، وإلا كان مخلاً بواجبه، هذا هو مذهب المعتزلة، وهو باطل؛

❁ فإن الله عزوجل يقول ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩]. وقال تعالى ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾[يونس: ٩٩]، فهو سبحانه قد حرَم بعض عباده الهداية، ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لما حرَمهم الهداية؛

❁ فالله سبحانه يهدي من يعلم أنَّه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية تفضلًا وتكرمًا منه، ويضِلُّ منْ يشاء بسببِ إِعَراضِه عن الخير، وعن طاعة الله عدلًا منه وجزاءً لهم على إعراضهم؛

❁ فالله لم يظلمهم، ولكنَّهم سببوا على أنفسهم عدم الهداية، ولهذا يقول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٢٥٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: ١٠٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٦٤]؛ فجعل ظلمهم، وفسقهم، وكفرهم سببًا

لعدم هدايته لهم، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[المدثر: ٣١].

وقال تعالى ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الأنعام: ٣٩].

❖ **ومذهب المعتزلة** نفي (**هداية التوفيق**)، وكذلك ينفون (**الإضلال**) وهذا مبني على مذهب فاسد أنَّ أفعال العباد مخلوقة لهم، وقالوا: الهداية مِنَ الله بيان طريق الصَّواب والإضلال تسمية العبد ضالًا.

وقوله: (**وكُلُّهم يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضلِهِ وَعَدلِهِ**) أي: كلهم لا يخرجون عن التقلب في مشيئة الله بين فضله وعدله فمن هداه الله إلى الإيمان فبفضله وله الحمد على ذلك، ومن أضله فبعدله وله الحمد على ذلك. قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقوله: (**وهو متعال عن الأضداد والأنداد**): متعال أي: مترفع ومتنزه عن الأضداد، وهم المعارضون لله؛ فإنَّ الله إذا أراد أمرًا لا يستطيع أحدٌ أنْ يعارضه بخلاف المخلوق؛ فإنَّه يوجد من يعارضه وينازعه.

و(**الأنداد**): جمع ندٍّ وهو: المثل: فالله ليس كمثله شيء ولا أحد يشبهه ولا يساويه.

قوله: (**لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره**) أي: لا أحد يستطيع ردَّ قضاء الله الكوني ولا معقب لحكمه أي: لا أحدٌ يستطيع أنْ يؤخر حكم الله الكوني، ولا غالب لأمره أي: لا أحد يستطيع أنْ يغلب أمر الله الكوني.

قوله: (**آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده**): آمنا بكل ما سبق ذكره من أول العقيدة إلى آخرها وأيقنَّا أنَّ كل كائن محدث من عنده أي: بقضائه وقدره.

مناقب النبي صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى، وإِنَّه خَاتمُ الأنبياءِ، وإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ، وحَبيبُ ربِّ العالمَين، وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى، وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء)

قوله: (**وإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المصطَفى**): هذا معطوف على قوله في أول هذه العقيدة: (**نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له**).

وقوله: (**وإِنَّ مُحَمَّدًا**): هذا اسمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشهور به قال الله تعالى﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى ﴿ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾[محمد: ٢]. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[الفتح: ٢٩]. وجاء تسميته بأحمد قال تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[الصف: ٦].

وصف الله نبيه عليه السلام بالعبودية في أشرف مقاماته

قوله: (**عَبْدُهُ**): هذا من كماله؛ فإنَّ كمال المخلوق في تحقيق عبودية الله؛ فكلَّما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وَعَلَتْ درجته، ولهذا ذكر الله نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسم العبد في أشرف مقاماته.

١ - في مقام الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[الإسراء: ١].

٢ - في مقام الدعوة: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[الجن: ١٩].

٣- في مقام الوحي: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم: ١٠].

٤- في مقام التحدي أنْ يأتوا بمثل سورة من القرآن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

٥- في مقام التنزيل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وفي **قوله**: (**عَبْدُهُ**) ردٌّ على أهل الغلو الذين غلوا فيه حتَّى جعلوا له شيئًا من الربوبية والألوهية.

وفي "صحيح البخاري" (رقم:٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**» . و(**المصطفى**) هو: المختار.

الفرق بين النبي والرسول

قوله: (**ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى**): الصحيح في الفرق بين النبي والرسول هو ما ذكره شيخ الإسلام في "النبوات" (٢/ ٧١٤) حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالنَّبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإنْ أُرسِل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.

وأمَّا إذا كان إنَّما يعمل بالشَّريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول.اهـ.

و(**المُرْتَضَى**) بمعنى: المصطفى.

قوله: (**وإنَّه خَاتمُ الأنبياءِ**): والدليل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠].

۞ وحديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وإنَّه سيكون في أمَّتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنَّه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي** ». رواه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) بإسناد صحيح وأصله في مسلم (٢٨٨٩)

۞ وحديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**» رواه البخاري(رقم:٢٥٣٢)، ومسلم(رقم: ٢٣٥٤). فمن اعتقد أنَّه يأتي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي فهو كافر.

قوله: (**وإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ**): الإمام هو: الذي يقتدى به والنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو قدوة الأتقياء قال الله تعالى ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[آل عمران: ٣١].

سيد ولد آدم

قوله:(**وسيِّدُ المرسَلينَ**): الدليل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» رواه مسلم(رقم:٢٢٧٨).

ولا يشكل على هذا الحديث حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**» رواه البخاري(رقم:٢٤١١)، ومسلم (رقم:٢٣٧٣). **فإنَّ هذا حمله أهل العلم على محامل:**

۞ **منها:** أنَّ النَّهي عن التفضيل إنَّما هو إذا كان على وجه الحمية والعصبية.

۞ **ومنها:** أنَّه إذا كان على وجه الانتقاص للمفضول.

۞ **ومنها:** أنَّ قوله: «**لا تفضلوني**»: خرج مخرج التواضع.

❁ **ومنها:** أنَّ هذا قبل أنْ يعلم أنَّه سيد ولد آدم.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله

قوله: (وحَبيبُ ربِّ العالَمين): انتقد هذا على الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنَّه لا يكفي أنْ يقولَ حبيب بل يقول خليل رب العالمين؛ لأنَّ الخُلَّةَ أعلى درجات المحبة، وهي خالص المحبة، ولم تحصل الخلة لأحدٍ إلا لاثنين إبراهيم ومحمد عليهما السلام.

❁ قال الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء: ١٢٥].

❁ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**» رواه مسلم(رقم:٥٣٢) عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى): من ادعى النُّبوةَ بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كاذب كافر.

❁ وأمَّا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنَّه ينزل في آخر الزمان مجددًا للدين، ومتبعًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحكم بالشريعة الإسلامية.

❁ و(**الغي**) هو: ضد الرشاد والهوى: عبارة عن شهوة النَّفس.

عموم بعثته صلى الله عليه وسلم

قوله: (**وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ**): الدليل قوله تعالى عن الجن ﴿يَـٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾[الأحقاف: ٣١]، وكذا سورة الجنِّ تدلُّ على أنَّه أُرسِلَ إليهم أيضًا.

قوله: (**وكَافَّةِ الوَرَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء**): قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: ٢٨]. وقال تعالى ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨]. وقال عز وجل ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩]. وقال تعالى﴿لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١].

❁ وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**» ومنها: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» رواه البخاري(رقم:٣٣٥)، ومسلم (رقم:٥٢١) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

❁ وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رواه مسلم(رقم:١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

❁ قال ابن أبي العز رَحِمَهُٱللَّهُ: «وكونه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مبعوثًا إلى النَّاس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأمَّا قول بعض النَّصارى إنَّه رسول إلى العرب خاصة فظاهر البطلان». **وقوله:** (**الورى**) أي: الخلق.

وقوله: (**بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء**)هذه أوصاف ما جاء به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الدين. و(**الضِّياء**) أكمل من النور قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

القرآن كلام الله غير مخلوق

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وإِنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منهُ بَدَا بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأنْزلَه على رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقهُ المؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وأَيْقَنُوا أَنَّه كَلامُ اللهِ تَعَالَى بالحَقِيقَة، لَيسَ بِمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنَّه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر؛ فمن أبْصَرَ هذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بِصِفَاتِه لَيسَ كَالبَشَرِ)

قوله: (وإِنَّ القرآنَ كَلامُ الله): قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦].

وقوله: (منْهُ بَدَا بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً): أي: أنَّ بدايته من الله لا من غيره قال الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[النحل: ١٠٢]، ففي هذه الآية ردٌّ على المعتزلة القائلين بأنَّ بدايته من غير الله فقوله ﴿مِن رَّبِّكَ﴾[النحل: ١٠٢] دليل على ذلك.

وقوله: (بلاَ كَيْفِيَّة): أي: نعرفها فالكيف مجهول قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]. وليس معنى هذا أنَّ كلام الله ليس له كيفية بل له كيفية لكن لا نعرفها.

وقوله: (قَوْلاً): هذا تأكيد لكونه كلام الله.

وقوله: (وأنْزلَه على رَسُولِهِ وَحْيًا): أي: أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملَك جبريل من الله وسمعه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملك وقرأه على النَّاس قال تعالى

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء: ١٠٦]. وقال تعالى﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[السجدة: ٢].

وقوله: (**وَصَدَّقَهُ المؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا**): (المؤمنون): المقصود بهم الصحابة والتَّابعون لهم بإحسان. **وقوله:** (**عَلَى ذَلِكَ**): أي على أنَّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا. **وقوله:** (**حقًّا**): أي أنَّه حق وصدق.

وقوله: (**وأَيْقَنُوا أنَّه كَلامُ اللهِ تَعَالَى بالحَقِيقَة**): ردٌّ على الأشاعرة والكلابية حيث قالوا: إنَّه معنى واحد قائم بذات الله لم يُسمع مِنْهُ وإنَّما هو الكلام النَّفساني؛ لأنَّه لا يقال لمن قام به الكلام النَّفساني ولم يتكلم به إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أنْ يكون الأخرس متكلمًا.

❁ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**» رواه البخاري(رقم:٢٥٢٨)، ومسلم(رقم:١٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففرَّق بين حديث النَّفس وبين الكلام.

قوله: (**ليس بمخلوقٍ ككلامِ البَرِيَّةِ**): والدَّليل على أنَّه ليس بمخلوق قوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، ففرَّق بين الخلقِ والأمرِ، والقرآن من الأمر قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢].

❁ وفي هذا ردٌّ على المعتزلة وغيرهم الذين قالوا: بأنَّ القرآن مخلوق قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف كـ(بيت الله وناقة الله)، وهذا باطل؛ فإنَّ المضاف إلى الله معان وأعيان فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف وهي مخلوقة له كـ(بيت الله وناقة الله)، بخلاف إضافة المعاني كـ(علم الله وقدرته وكلامه وحياته وعلوه؛ فإنَّ هذا كلُّه من صفاته وهو من إضافة الصِّفة إلى الموصوف، والأول من إضافة المخلوق إلى خالقه.

قوله: (**فَمَنْ سَمِعَهُ فزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ**): لا شكَّ في تكفير من أنْكر أنَّ القرآن كلام الله؛ بل قال: إنَّه كلام محمد أو غيره من الخلقِ ملَكًا كانَ أو بشرًا؛ لأنَّه مكذب بالقرآن ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦].

قوله: (**وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعدَهُ بسَقَر، حيث قال تعالى** ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٦]، **فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٥]، **عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنَّه قولُ خالقِ البَشرِ**): قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا المذكور في هذا السياق هو: الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش -لعنه الله».اهـ.

قلت: قد ورد ذلك في حديث اختلف في وصله وإرساله، **والراجح إرساله** وانظر "الصحيح المسند من أسباب النزول"(ص:٢٦٢)لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**ولا يُشْبِهُ قولَ البشر**): أي أنَّه أشرف وأحسن وأصدق قال تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، وقال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]، فلما عجزوا وهم فصحاء العرب مع شدةِ عداوتِهم عن الإتيان بسورة مثله تبين صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه من عند الله.

قوله: (**وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنًى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر**) أي: من شبه الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر؛ لأنَّه تنقص اللهَ عزوجل؛ ولأنَّ الله يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] . **قوله:** (**فمن أبْصَرَ هذا اعْتَبَر**)؛ لأنَّ هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإنْ اشتركت في الاسم والمعنى ولكنْ تختلِف في الحقيقة.

قوله: (**وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر**) من تدبَّر الآيات القرآنية الَّتي أنزلها الله في شأنِ من قال هذا وهي قوله تعالى ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ

﴿عَشَرَ﴾[المدثر: ٢٤ - ٣٠] (انزجر) عن قوله وعن قول أمثاله.

قوله: (وعَلِمَ أنَّه بِصِفَاتِهِ لَيسَ كَالبَشرِ): للفرق بين صفاته وصفات خلقه.

الرؤية حق

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(والرُّؤْيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ، بِغَيْرِ إحَاطَةٍ ولا كَيْفيَّةٍ، كما نَطَقَ بِهِ كِتَابُ ربِّنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ - ٢٣] وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله تَعالَى وَعَلِمَهُ.

وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كما قال، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لا نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوَائنا؛ فإنَّهُ مَا سَلِم في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّ عِلْمَ ما اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسْلامِ إلا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالاسْتِسْلامِ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإيمَانِ؛ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإقْرَارِ وَالإنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، زَائِغًا شَاكًّا، لا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلا جَاحِدًا مُكَذِّبًا وَلا يَصِحُّ الإيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لأهْلِ دَارِ السَّلامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ وَعَلَيهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ)

قوله: (والرُّؤْيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّةِ): (الرؤية حق) أي: ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥]. والمزيد هو: النَّظر إلى وجه الله.

وقال تعالى﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]. **والزيادة** هي: النَّظر إلى وجهه الكريم؛ فسَّرها بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحابة من بعده.

وقال تعالى﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]. احتج الشَّافعي وغيره بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أنْ حجب هؤلاء في السَّخط كان في هذا دليل على أنَّ أولياؤه يرونه في الرضى». رواه الحاكم **بإسناد صحيح**.

❁ والمخالف في الرؤية هم: الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والروافض وشبهتهم في ذلك أنَّه يلزم من إثبات الرؤية أن الله في جهة والله عندهم ليس في جهة.

❁ **وأما الأشاعرة** فأثبتوا الرؤية ولكن قالوا: هي المعرفة، ومعلوم أنَّ المؤمنين يعرفون ربهم في الدنيا، وتارة يقولون: نراه من جميع الجهات وهذا يلزم منه أنْ ينقلب جسم الإنسان كله عيونًا من أجل أنْ يراه من جميع الجهات، وتارة يقولون: نراه لكن من غير جهة، واستدلَّ المعتزلة على نفي الرؤية بقول الله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف: ١٤٣] وقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، وهي في الحقيقة ردٌّ عليهم؛ فإنَّ الله لم ينكر على موسى سؤاله الرؤية، ولا يظن بموسى أنَّه يسأل عمَّا لا يجوز عليه. وأيضًا؛ فإنَّه قال ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل: إنِّي لا أرى، وهذا يدلُّ على أنَّه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعفِ قوى البشر عن رؤيته تعالى.

❁ قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا دعواهم تأبيد النفي بـ(لن)، وأنَّ ذلك يدلُّ على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد؛ فإنَّها لو قيدت بالتَّأبيد لا يدلُّ على دوام النَّفي في الآخرة فكيف إذا أطلقت قال تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة: ٩٥] مع قوله ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف: ٧٧].

❁ **وأما الآية الثانية:** فمعناها لا تحيط به الأبصار، وليس معناه لا تراه، فالإدراك

شيء والرؤية شيء آخر؛ فهي تراه ولكن بدون إدراك ولا إحاطة»اهـ.

❁ وأدلة أهل السنة على الرؤية من السنة كثيرة جدًّا بلغت مبلغ التواتر.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

هل الكفار يرون الله

قوله: (لأهلِ الجَنَّةِ): تخصيص أهل الجنة بالذِّكر يفْهمُ مِنْهُ نفي الرؤية عن غيرِهم ولا شَكَّ في رؤية أهل الجنَّة لربِّهم في الجنَّة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنَّة كما ثَبتَ ذلك في "صحيح البخاري"(رقم:٧٤٣٩)، ومسلم(رقم:١٨٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ واختلف أهل العلم في رؤية الكفار والمنافقين على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم لا يرونه مطلقًا، وهذا قول الجمهور، واستدلوا بقوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

الثاني: أنَّ الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب -كاللِّص إذا رأى السلطان- ثُمَّ يحتجب عنهُم ليعظم عَذَابَهم ويشتدُّ عِقَابَهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم، وأصحابه وقول غيرهم، واستدلوا بالأدلة التي فيها إثبات لقاءِ الله وهي كثيرة:

منها: قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦].

الثالث: أنَّه يراه مِن أظهر التَّوحيد مِنْ مؤمِني هذه الأمة، ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين؛ فلا يرونه بعد ذلك،

وهذا قول ابن خزيمة وغيره من أهل العلم، وحجتهم:

❁ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ**» أخرجه البخاري(رقم:٦٥٧٣)، ومسلم(رقم:١٨٢).

❁ وحديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وفيه: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا**».أخرجه البخاري(رقم:٧٤٣٩)، ومسلم(رقم:١٨٣).

وهذا هو الصحيح لصراحة هذين الحديثين على رؤية المؤمنين والمنافقين ربهم وهذا خاص في العرصات ثم يحجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك.

❁ **وأمَّا أدلة القائلين برؤية الكفار ربهم**؛ فالملاقاة لا يلزم منها الرؤية، ثم إنَّه قد أُبْرِمَ الإجماع بعد ذلك على منع رؤية الكافرين لله، وأمَّا دليل الجمهور فهو خاص بمن كفره ظاهر والله أعلم. انظر: "مجموع الفتاوى"(٦/صـ:٤٨٧-٥٠٥)، و"حادي الأرواح"(صـ: ١٨٨)، و"شرح الطحاوية"(١/صـ:٢٢٢) لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هل يرى الله في الدنيا

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى"(٢/صـ:٢٣٠): «وَلِهَذَا اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ».

قلت: والدَّليل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**» رواه مسلم(١٦٩) عن بعض أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه

❁ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(٦/صـ: ٥٠٧):

«وَقَدْ حَكَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدارمي فِي كِتَابِ "الرَّدِّ لَهُ": إجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ».اهـ.

قلت: وأما قوله تعالى ﴿**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾[النجم: ١١]، وقوله ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾[النجم: ١٣]؛ فهما عمدة القائلين بأنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه بعينه وليس

فيها صراحة، وأبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، يقول في قوله تعالى{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}: «**رأى جبريل**» رواه مسلم (١٧٥)، وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا يقول في هاتين الآيتين: «**رأى ربه بقلبه**» رواه مسلم(رقم:١٧٦).

۞ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَالَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»، وَعَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنْكَرَتْ الرُّؤْيَةَ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنْكَرَتْ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا أَثْبَتَ رُؤْيَةَ الْفُؤَادِ، وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ تَارَةً يَقُولُ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ»، وَتَارَةً يَقُولُ: «رَآهُ مُحَمَّدٌ»؛ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا لَفْظٌ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَد تَارَةً يُطْلِقُ الرُّؤْيَةَ؛ وَتَارَةً يَقُولُ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ»؛ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إنَّهُ سَمِعَ أَحْمَد يَقُولُ رَآهُ بِعَيْنِهِ؛ لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقِ فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ؛ كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَى نَفْيِهِ أَدَلُّ؛ كَمَا فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: «سَأَلْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْت رَبَّك؟» فَقَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**.اهـ."مجموع الفتاوى"(٦/صـ: ٥٠٩)

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[النجم: ١٢]، ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨]، وَلَوْ كَانَ رَآهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى، وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي

ٱلْقُرْءَانِ﴾[الإسراء: ٦٠]، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وَهَذِهِ رُؤْيَا الْآيَاتِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَآهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ حَيْثُ صَدَّقَهُ قَوْمٌ، وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ».اهـ.

قوله: (**بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ**): قال الله تعالى﴿ **لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾[الأنعام: ١٠٣]. أي: لا تحيط به.

قوله: (**ولا كَيْفِيَّةٍ**) أي: لا يقال كيف يرون الله؛ لأنَّ هذا كسائر صفاته لا نعرف كيفيتها، ونحن نؤمن بها ونعرف معناها ونثبتها.

قوله: (**كما نَطَقَ بِهِ كِتَابُ ربِّنا** ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[القيامة: ٢٢ – ٢٣].)

وجوه يومئذ ناضرة من النضرة وهي: البهاء والحسن،إلى ربها ناظرة معنى ناظرة أي: تعاينه بالأبصار فهذه الآية صريحة في إثبات رؤية الله.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرحه"(صـ:٢٤٢): «فإنَّ النَّظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه؛

❁ فإن عُدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار كقوله ﴿ **ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾[الحديد: ١٣].

❁ وإن عُدي بـ(في) فمعناه التَّفكر والاعتبار كقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[الأعراف: ١٨٥].

❁ وإنْ عُدي بـ(إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ **ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ** ﴾[الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الله الذي هو محل البصر».اهـ.

والمعتزلة قالوا في قوله: ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[القيامة: ٢٣]، إلى بمعنى النعمة وناظرة بمعنى منتظرة، والتقدير: نعمة ربها منتظرة، وهذا تحريف ظاهر.

قوله: (**وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله تَعالَى وَعَلِمَهُ**) أي: تفسير﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣]. على ما أراده الله وهو: المعاينة بالأبصار لا على ما أراده المبتدعة.

قوله: (**وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كما قال**): لأنَّ كلامه وحيٌ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣ – ٤].

ومعنى(**في ذلك**): أي في إثبات الرؤية وهي متواترة كما سبق.

قوله: (**وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ**) أي: على ما أراده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا على ما أراده المبتدعة.

قوله: (**لا نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوَائنَا**): كما يفعله الجهمية والمعتزلة، ومن تابعهم وهو في الحقيقة تحريف للكلم عن مواضعه.

قوله: (**فإنَّهُ مَا سَلِمَ في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: سلَّم للكتاب والسنة وقَبِلَ ما فيهما وآمن ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتَّأويلات الفاسدة.

۞ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء في كتاب الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».اهـ.

قوله: (**وردَّ عِلْمَ ما اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ**): أمَّا الكيفية؛ فإنه يجب ردَّها إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّه لا يعلم أحد كيفية ذات الله وصفاته إلا الله سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]، وأمَّا ما اشتبه عليه من حيث أنَّه لم يعرف معناه؛ فالواجب عليه الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم.

قوله: (**وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسْلامِ إلا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالاسْتِسْلامِ**): هذا من باب الاستعارة؛ إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء أي: لا يثبت إسلام من لم يسلِّم لنصوصِ الكتاب والسنَّة وَيَنْقَدْ إليهما، ولا يعترض عليها، قال الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ

لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء: ٦٥] ،

❖ وروى البخاري معلَّقًا، ووصله الحميدي **بإسناد صحيح** عن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «**من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم**» اهـ.

قوله: (**فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ**)

قوله: (**رام**) أي: قصد وطلب، (**حظر**) أي: منع، (**حجبه مرامه**) أي: منعه قصده.

وهذا تقرير للكلام الأول وزيادةُ تحذير أنْ يتكلَّم في أمور الدِّين بغير علم.

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾[الحج: ٣].

قوله: (**فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، زَائِغًا شَاكًّا، لا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلا جَاحِدًا مُكَذِّبًا**) (يتذبذب) أي: يضطرب ويتردد وهذه الحالة التي وصفها الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال كل من عدل عن الكتاب والسُّنة إلى علمِ الكَلام المذموم، أو أراد أنْ يجمعَ بينه وبين الكتاب والسنة وعند التعارض يتأول النَّص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة؛ فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشَّك. **قوله:** (**تائها**) قال في "القاموس": تاه أي: هلك وتكبَّر واضطرب عقله.اهـ.

قوله: (**وَلا يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لأَهْلِ دَارِ السَّلامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ**) يشير الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الردِّ على المعتزلة، ومنْ يقول بقولهم في نفي الرؤية. **قوله:** (**لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ**) أي: توهم أنَّ الله تعالى يرى على صفة كذا

فيتوهم تشبيهًا، ثم بعد هذا التوهم إنْ أثبتَ ما توهمه من الوصف فهو مشبه، وإنْ نَفَى الرؤية من أصلِها لأجل ذلك التَّوهم فهو جاحدٌ معطِّل؛ بل الواجب رفع ذلك التَّوهم وحده.

قوله: (**أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ**) أي: ادعى أنَّه فهم لها تأويلًا يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها.

معاني التأويل

قوله: (**إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزُومِ التَّسْلِيمِ وَعَلَيهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ**) مراده ترك التَّأويل الذي يسمونه تأويلًا وهو تحريف، ولكنْ الطَّحاوي تأدب وجادل بالتي هي أحسن، وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلًا ولا تركَ شيءٌ من الظَّواهر لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنَّما مراده ترك التَّأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السَّلف.

❁ **والتحريف** هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدون قرينة توجب ذلك؛

❁ فإنْ كان بقرينة توجب ذلك فهو تأويل صحيح محمود ويأتي التأويل بمعنى: التفسير، ويأتي بمعنى: الحقيقة والمآل ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾[الأعراف: ٥٣].

توقي النفي والتشبيه

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيه؛ فَإِنَّ رَبَّنَا -عز وجل- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ)

قوله: (**وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيه**): النَّفي هو: نفي صفات الله.

والمقصود بالتشبيه هنا هو :تشبيه الخالق بالمخلوق فمن لم يتوق هذين الأمرين زل ولم ينزه ربنا سبحانه وتعالى قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

قوله: (**فَإِنَّ رَبَّنَا -عز وجل- مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ**): كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مأخوذ من معنى سورة الإخلاص.

فقوله (**مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ**): مأخوذ من قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١].

وقوله: (**مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ**): من قوله تعالى﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص: ٢ - ٣].

وقوله: (**لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ**): من قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص: ٤]، وهذا الكلام مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات، ونفي التمثيل،

والوصف والنعت مترادفان، وكذلك الوحدانية والفردانية.

الكلام على الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأعْضَاءِ وَالأدَوَاتِ، لا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ)

هذه الألفاظ مُجْمَلةٌ لم ترِد في الكتاب ولا في السنة نفيًا ولا إثباتًا، وهي تحتمل حقًّا وباطلًا. **فيقال لنافي الحدِّ عن الله:** ما تريد بذلك؟

فإنْ قال: أريدُ بنفي الحدِّ أنَّ الله لا يعلم أحدٌ من عبادِهِ حده. **قلنا له:** هذا حقٌّ وهذا هو مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **وإن قال:** أريدُ بـ(نفي الحدِّ عن الله): أنَّه غير مستوٍ على عرشه غير منفصل عن خلقه؛ فهذا باطل، وهو مراد أهل البدع والتعطيل من نفيهم الحد عن الله.

❁ وأما (**الغاية**)؛ فإن فيها إجمالًا أيضا، فهي تحتمل حقًّا وباطلًا: فَمَنْ نَفَاهَا عن الله، وأراد أنَّ الله غير محتاجٍ إلى خلقِهِ؛ فلم يخلقهم لحاجته إليهم؛ فهذا حقٌّ وهو مراد المؤلف، ومَنْ نَفَاهَا وأرادَ أنَّه غَير مُتصِفٍ بصفة الحكمة، وأنَّه خلق خلقه لغير حكمة فهذا باطلٌ.

❁ وأمَّا (**الأركان والأعضاء والأدوات**) ففيها إجمالٌ أيضا فمنْ نَفَاهَا، وأرادَ نفي الصِّفات الذاتية عن الله تعالى كنفي اليد والوجه وغير ذلك؛ فهذا باطل.

❁ ومن نفاها وأراد أنَّ الله منزَّهٌ عن مشابهةِ أعضاءِ المخلوقين، وأدوات المخلوقين؛ فهذا حقٌّ، وهو مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **فالحاصل**: أنَّ هذه الألفاظ مجملة كان الذي ينبغي تركها؛ لأنَّها مما يستغله أهل البدع، ولكن يحمل كلام المؤلف على الحقِّ؛ لأنَّه من أهل السنة.

وقوله: (**لا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ**): هذا فيه إجمالٌ أيضًا إنْ أُرِيْدَ الجهات المخلوقة؛ فالله منزَّه عن ذلك لا يحويه شيءٌ من مخلوقاتِه، وإنْ أريدَ جهة العلو وأنَّه فوق المخلوقات كلِّها؛ فهذا حقٌّ ونفيه باطل، وقصد المؤلف بـ(**الجهات السِّت**) أي: الجهات المخلوقة لا جهة العلو؛ لأنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثبتٌ للعلو، ومثبتٌ للاستواء.

الإسراء والمِعراج

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(**وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١] فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى**)

قوله: (**وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**): (المعراج) أي: الآلة التي يعرج فيها أي: يصعد وهو بمنزلة السُّلَّم لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات نؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته، والمعراج مذكور في سورة النجم ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النجم: ٧]، هذا العروج ﴿ثُمَّ دَنَا﴾[النجم: ٨]، أي: جبريل فتدلى.

❁ و**الإسراء** هو: السير ليلًا وهو مذكور في سورة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١]. والإسراء والمعراج حصلا في ليلةٍ واحدةٍ؛ فمن أنكرهما واستبعدهما فهو كافر، ومن تأولهما فهو ضال.

❁ و**الصحيح أنه أسري بروحه وجسده**؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[

الإسراء: ١]. و**العبد**: عبارة عن مجموع الروح والجسد.

❁ ومن قال: أسري بروحه دون جسده أو أسري به في المنام لا يقظة فهذا خطأٌ؛ لأنَّ المنام ليس فيه عبره، وكل النَّاس يرون الرؤيا وليست خاصة بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❁ **ومتى كان الإسراء؟** ***الجواب***: كان قبل الهجرة بسنة.

❁ **وما الحكمة في الإسراء**: إلى بيت المقدس أولا؟

الجواب: -والله أعلم- أنَّ ذلك كان إظهارًا لصدق دعوى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم، وأخبرهم عن عِيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه من مكة إلى السَّماء لما حصل ذلك إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السَّماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس؛ فأخبرهم بنعته. وحديث المعراج دليل على علو الله تعالى.

قوله: (**فصلى الله وسلم عليه في الآخرة والأولى**): هذا من حقوقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لله تعالى﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴾[الأحزاب: ٥٦].

الحوض حق

قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

(وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لأُمَّتِهِ- حَقٌّ)

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدِّ التَّواتر رواها من الصَّحابة بضع وثلاثون صحابيًا.

❁ **والحوض**: مجمع الماء وقد وصفه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنَّه حوضٌ عظيمٌ،

طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته عدد نجوم السماء، وأنَّ من يشرب منه شربةً لا يظمأُ بعدها أبدًا، ماؤُه أبيض من اللَّبن، وأحلى من العسل، ويمنع منه المرتدين وأهل البدع.

❁ قال العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التذكرة"(٢/ص:١٢٢): واختلف في الميزان و الحوض أيهما قبل الآخر؟، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: و الصحيح أنَّ الحوض قبل.

قلت: -والقائل القرطبي- والمعنى يقتضيه؛ فإنَّ الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان و الله أعلم.اهـ.

قلت: وقد أنكر الحوض الخوارج والمعتزلة.

الشفاعة أنواعها وشروطها

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبَارِ)

الشفاعة لغة: من الشفع ضد الوتر، **وفي الشرع**: التَّوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. **والشفاعة أنواع**: **النوع الأول: الشفاعة العظمى** وهي: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف وهذه الشفاعة متفق عليها بين الأمة، وهي خاصة بالنَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودليلُه حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل رواه البخاري(رقم: ٣٩٥)، ومسلم(رقم:١٨٤).

النوع الثاني: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها

وانظر دليل هذا النوع في كتاب "الشفاعة"(ص:١٢٥-١٢٧) لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **النوع الثالث: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق**

ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة والخوارج على هذه الشَّفاعة خاصة وانظر دليل هذا في "المصدر السابق"(صـ: ١٤١-١٤٢).

النوع الرابع: الشَّفاعة في أقوام أنْ يدخلوا الجنة بغير حساب. وانظر دليل هذا في "المصدر السابق"(صـ: ١٢٩-١٣٩).

النوع الخامس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه. كشفاعته في عمه أبي طالب أنْ يخفف عنْهُ عذابه، ثُمَّ قال القرطبي بعد ذكر هذا النوع:

❁ **فإن قيل**: فقد قال الله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨].

قيل: لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين.

النوع السادس: شفاعته أنْ يؤذن لجميع المؤمنين في الدخول إلى الجنة. ودليله قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ**» رواه مسلم(رقم:١٩٦) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. **النوع السابع: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن يدخل النار أن يخرج منها**. وقد تواترت بهذا النَّوع الأحاديث، وخالفَ في هذا النَّوع الخوارج والمعتزلة، وهذه الشفاعة تشاركه فيها النَّبيون والملائكة والمؤمنون أيضًا.

ومن أدلة هذا النوع: ما رواه أحمد(٣/صـ:٢١٣)، وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الشفاعة"(١٠٠) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»

❁ **والشفاعة لها شرطان**: ١- إذن الله للشافع قال الله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥]. ٢- رضاه عن الشافع والمشفوع له قال الله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم: ٢٦].

الميثاق

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ الله تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ)

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]: يخبر تعالى أنَّه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أنَّ الله ربهم ومليكهم وأنَّه لا إله إلا هو.

علم الله تعالى

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَقَدْ عَلِمَ الله تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلا يُنْقُصُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

وَالأعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ الله، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ الله)

قوله: (وَقَدْ عَلِمَ الله تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدُ وَلا يُنْقُصُ مِنْهُ) قال الله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٣١]، فهو موصوف بالعلمِ أزلًا وأبدًا.

❁ وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟» فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» ثم قرأ ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾[الليل: ٥ - ١٠]. رواه البخاري(رقم:٤٩٤٩)، ومسلم(رقم:٢٦٤٧).

قوله: (**وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ**) أي: علم أفعالهم في الأزل.

قوله: (**وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**): لحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيحين": أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** » وقد تقدم.

قوله: (**وَالأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**): لحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق فذكر الحديث وفيه: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**» رواه البخاري(رقم:٣٢٠٨)ومسلم(رقم:٢٦٤٣).

❁ وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» رواه البخاري(رقم:٢٨٩٨)، ومسلم(رقم:١١٢). زاد البخاري: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**»، وهي شاذة شذَّ بها أبو غسان محمد بن مطرف؛ وهو ثقة ولكنَّه خالف راويين وصف أحدهما؛ بأنَّه صدوق، والآخر ثقةٌ، وقد انتقدها الدارقطني بذلك والذي رجحه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في التتبع (ص:٣٢٥-٣٢٦) هو قول الدارقطني .

وقوله: (**والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله**) أي: أنَّ سعادة المرء وشقاوته بتقدير الله وقضائه؛ فالله هو الذي قدر وقضى للسعيد بالسعادة وقدر وقضى للشقي بالشقاوة.

❁ فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمِّه أربعين يومًا، ثُمَّ يكون علقةً مثل ذلك، ثُمَّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثُم يُرسل إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**» متفق عليه.

❁ ❁ ❁

الكلام على القدر

قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

(وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ الله تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ)

قوله: (و وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ الله تَعَالَى فِي خَلْقِهِ): فلنْ تصل إلى سرِّه مَهما حاولت التَّفْتِيش عن قضائِه وقدره، ولكن آمن بالقضاء والقدر.

قوله: (لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ): القدر من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله قال الله تعالى عن نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[الأعراف: ١٨٨].

❖ قال ابن أبي العز رَحِمَهُٱللَّهُ في "شرحه"(صـ:٣٤٧): والنِّزاع بين النَّاس في مسألة القدر مشهور، والذي عليه أهل السنة والجماعة أنَّ كلَّ شيءٍ بقضاء الله وقدره، وأنَّ الله خلق أفعال العباد قال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالى﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: ٢]، وأنَّ الله يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه

ولا يحبُّه فيشاؤه كونًا ولا يرضاه دينًا.

❁ وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعمُوا أنَّ الله شاء الإيمان من الكافر، ولكنَّ الكافر شاء الكفر ففروا إلى هذا لئلا يقولوا شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه، ولكن صاروا كـ(المستجير من الرمضاء بالنار)؛ فإنَّهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه؛ فإنَّه يلزم أنَّ مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله.اهـ.

قوله: (وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ): التَّعمق هو: المبالغة في طلب الشيء، والمعنى أنَّ المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان، والذريعة: الوسيلة والذريعة والدرجة والسَّلم متقاربة المعنى، وكذلك الحرمان والطغيان والخذلان متقاربة المعنى أيضًا لكن الخذلان في مقابلة النَّصر، والتَّوفيق والحرمان في مقابلة الظفر، والطغيان في مقابلة الاستقامة.

وقوله: (فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً):

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: «إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ»، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ**؟» قَالُوا: «نَعَمْ»، قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»رواه مسلم(رقم:١٣٢) والإشارة بقوله «**ذاك صريح الإيمان**» إلى تعاظمهم أنْ يتكلموا به.

❁ ولمسلم(رقم:١٣٣) أيضًا عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ**»

وهو بمعنى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّ وسوسة النَّفس ومدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين، فمدافعة الوسوسة الشيطانية، واستعظامها صريح الإيمان، ومحض الإيمان، هذه طريقة الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، ثُمَّ خلف من

بعدهم خلف سودوا الأوراق بتلك الوساوس التي هي شُكوك وشُبَه، بل وسودوا القلوب، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

وقوله: (**فَإِنَّ الله تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ**): هذا تأكيدٌ لما سبق أنَّ القدر سِرُّ الله، ومعنى (**طوى**): أخفى، فطوى الله هذه المعلومات من خلقه؛ لأنَّه ليس لهم فيها مصلحة. **وقوله:** (**وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ**) أي: عنِ البحث فيه

❁ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، قَالَ: وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ» قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: «**مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» قَالَ: «فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَشْهَدْهُ، بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ». رواه أحمد(٢/صـ:١٧٨)، وابن ماجه(رقم:٨٥) **بسند حسن**، وحسنه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريج "تفسير ابن كثير"(٢/صـ:٤٣٩).

قوله: (**كما قال تعالى** ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]):

فالله عز وجل لا يسئل عن فعله؛ لأنَّه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، والحكمة قد تظهر لنا وقد لا تظهر.

قوله: (**فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ**) أي: قال: لِمَ فعل الله كذا، ولِمَ قدَّر كذا، ولِمَ أمر بكذا، ولِمَ نهى عن كذا، فقد ردَّ حكم الكتاب؛ لأنَّ الله يقول: ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾[الأنبياء: ٢٣]، وكان أيضًا غير مستسلم لله سبحانه وتعالى.

❁ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الجامع لأحكام القرآن"(٦/صـ:٣٣٣) -ناقلًا عن ابن عبد البر رحمهما الله-: «فمن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم ونفي الجهل عن نفسه

باحثًا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأسَ به، فشفاء العي السؤال، ومن سألَ متعنتًا غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره».

وقوله: (**وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**): لا شكَّ في تكفير من ردِّ حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكِتاب لشبهة عرضت له بين له الصواب ليرجع إليه.

حكم التأويل

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و**حكم التأويل على ثلاثة أقسام**:

الأول: أنْ يكون صادرًا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفوٌ عَنْهُ؛ لأنَّ هذا منتهى وسعه، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦].

الثاني: أنْ يكونَ صادرًا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللُّغة العربية، فهو فِسقٌ وليس بكفر إلا أنْ يتَضمن نقصًا أو عيبًا في حقِّ الله فيكون كفرًا.

القسم الثالث: أنْ يكون صادرًا عن هوى وتعصب، وليس له وجه في اللغة العربيّة، فهذا كفر؛ لأنَّ حقيقتَه التَّكذيب حيث لا وجه له.اهـ.

قوله: (**فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى**): الإشارة بقوله (**فهذا**) إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة.

قوله: (**وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ**) أي: علم ما جاء به الرسول جملةً وتفصيلًا نفيًا وإثباتًا، والراسخ في العلم هو: المتمكن فيه لا تعرض له فيه شبهة.

العلم علمان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلا يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ)

يعني بـ(**العلم المفقود**): علم القدر، ويعني بـ(**العلم الموجود**): علم الشَّريعة، فمنْ أنْكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادَّعى علم الغيب كان من الكافرين قال تعالى ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٦ – ٢٧].

الإيمان باللوح والقلم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ الله تَعَالَى فِيهِ أنَّه غير كائنٍ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ)

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ): قال تعالى﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١ – ٢٢].

❁ **اللوح المحفوظ**: هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق.

❁ و**القلم** المذكور: هو الذي خلقه الله، وكتب به في اللوح المحفوظ المقادير، كما في "سنن أبي داود"(رقم:٤٧٠٠)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الجامع الصحيح في القدر"(صـ:١٠٢-١٠٣)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». (**بما فيه قد رقم**)أي: كتب.

أيـهما قبل العـرش أم القـلم؟

❁ اختلف العلماء هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ **على قولين: أصحهما**:

أنَّ العرش قبل القلم لما ثبت في "صحيح مسلم"(رقم:٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

فهذا صريح أنَّ التَّقدير وقع بعد خلق العرش، والتَّقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذا ولا يخلوا قوله: (**أول ما خلق الله القلم**...إلخ)

❁ **إما أن يكون جملة أو جملتين**:

❁ **فإنْ كان جملة -وهو الصحيح-** كان معناه: أنَّه عند أول خلقه قال له: اكتب كما في اللفظ «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» بنصب أول، والقلم.

❁ وإنْ كان جملتين وهو مروي برفع أول والقلم؛ فيتعين حمله على أنَّه أول المخلوقات من هذا العالم -أي عالم الأقلام- فيتفق الحديثان؛ فهذا القلم أول الأقلام

وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التَّفسير إنَّه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: ١].

وقوله: (**فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ الله تَعَالَى فِيهِ أَنَّه غير كائنٍ؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**):

❖ عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كنت خلف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوما فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُف**» رواه الترمذي (رقم:٢٥١٦)، وهو في"الصحيح المسند"(١/ص:٤٧٤) لشيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ وقال: «**صحيح لغيره**».

عدد الأقلام

قد جاءت الأقلام في هذا الحديث وغيره مجموعة؛ فدلَّ ذلك على أنَّ للمقادير أقلامًا غير القلم الأول الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ، والذي دَلَّت عليه السُّنة **أنَّ الأقلام ثلاثة:**

القلم الأول: العام الشَّامل لجميع المخلوقات وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثاني: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه؛ فينفخ فيه الروح ويؤمر

بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

القلم الثالث: الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسُّنة، فمن الكتاب: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠ - ١٢]، ومن السنة: «**رفع القلم عن ثلاثة ومنهم الصغير حتى يبلغ**».

قوله: (**جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**): هذا كِناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد.

معنى: وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه

قوله: (**وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ**): هذا بناء على ما تقدم أنَّ المقدور كائن لا محالة، وهو بمعنى حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**»

❖ وروى أحمد(٦/صـ:٤٤١) في "مسنده" **بإسناد حسن** عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: « **لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**».

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في "شرح الأربعين"(صـ:١١٧): يعني: أنَّ ما قدَّر الله تعالى أنْ يُصيبَك؛ فإنه لا يُخطئُك بل لا بدَّ أنْ يقعَ؛ لأنَّ الله قدره، وأنَّ ما كتبه الله أنْ يخطئك رفعه عَنْكَ؛ فلنْ يصيبَك أبدًا.اهـ.

إثبات علم الله السابق على جميع الكائنات

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ، وَلا مُزِيلٌ وَلا مُغَيِّرٌ، وَلا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ)

هذا بناء على ما تقدم من أنَّ الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنَّه قدَّر مقاديرها قبل خلقِها كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» رواه مسلم(رقم:٢٦٥٣).

وأنكر غلاة المعتزلة أنَّ الله كان عالما في الأزل، وقالوا: إنَّ الله لا يعلم أفعال العباد حتَّى يفعلوها.

الإيمان بالقدر من عقيدة الإيمان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**(وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ والاعتراف بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].
وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨])**

قوله: (وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ): (**ذلك**) إشارة إلى الإيمان بالقدر، من عقد الإيمان أي: من عقيدة الإيمان قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما سأله جبريل عن

الإيمان: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**» رواه مسلم (رقم:٨) عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

قوله: (**والاعتراف بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ** ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨]):

أي الإيمان بالقدر داخلٌ في توحيد الربوبية، فمن زعم خالقًا غير الله؛ فقد أشرك فكيف بمن يزعم أنَّ كل أحدٍ يخلق فعله، ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة.

ويل لمن صار لله في القدر خصيما

قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

(**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِله تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا**)

قوله: (**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِله تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا**): (خصيمًا) بسبب عدم إيمانه بالقدر، والخوض فيه بالسؤالات والشكوك والأوهام وغير ذلك، فكل هذا مخاصمة لله. **قوله:** (**وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا**) أي: أحضر للتَّفكر في القدرِ قلبًا سقيمًا أي: مريضًا. **والمرض نوعان:** مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤهما مرض الشبهة وأردأ الشبهة ما كان من أمر القدر.

قوله: (**لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا**)أي: طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرًا مكتومًا إذ القدر سر الله في خلقه؛ فهو يريد ببحثه الاطلاع على الغيب وقد قال الله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٦ - ٢٧].

قوله: (**وَعَادَ بِهَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا**): (وعاد بها قال فيه) أي: في القدر(**أفاكًا**)أي: كذابًا (أثيمًا) أي: مأثومًا.

العرش والكرسي حق

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ)

دليل العرش قوله تعالى ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[البروج: ١٥]، وقال تعالى﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه: ٥]، وقال عز وجل﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون: ١١٦].

❖ **والعرش في اللغة:** عبارة عن السرير الذي للملك قال الله تعالى عن ملكة سبأ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[النمل: ٢٣]، وليس هو فَلَك كما يقوله أهل الكلام قالوا: هو فَلَكٌ مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وهذا ليس بصحيح؛ لأنَّه قد ثبت في الشَّرعِ أنَّ له قوائم تحمِله الملائكة، والمحرفة حرفوا معنى العرش إلى الملك، والرد عليهم أنَّ الله تعالى يقول﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[الحاقة: ١٧] فهل يصِحُّ أنْ يقال: يحمل ملك ربك يومئذ ثمانية، وكان ملكه على الماء.

❖ **وأما دليل الكرسي:** فقوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥] وقد قيل: إنَّه العرش.

❖ **والصحيح** أنَّه غيره قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى**». رواه الحاكم(٢/صـ:٢٨٢)، وابن أبي شيبة في

كتاب "صفة العرش"(رقم:٦١) **بإسناد صحيح**، وقد صححه العلامة الألباني والعلامة الوادعي رحمهما الله.

❁ **وليس الكرسيُّ العلمَ**، وقد نُسِبَ ذلك إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولا يصح ذلك عنه؛ أخرجه عنه ابن جرير في "تفسيره"(٤/صـ:٥٣٧)، **وفي سنده**: جعفر بن أبي المغيرة يرويه عن سعيد بن جبير قال ابن منده: ليس بالقوي في سعيد بن جبير.اهـ.

❁ **والصواب عنه** ما تقدم؛ فإن العلم صفة لله والكرسي مخلوق.

تمام غنى الله تعالى وإحاطته وفوقيته

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)

قوله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ): قال الله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧]؛ فالله سبحانه وتعالى غني عن مخلوقاته كلها العرش وغيره، وليس معنى ثُمَّ استوى على العرش أنَّه محتاج إلى العرش كاستواء المخلوق على المخلوق؛ بل إنَّ الله مستوٍ عليه وغني عنه؛ فهو غير محتاج إليه؛ بل العرش محتاج إلى الله وكذلك جميع المخلوقات محتاجةٌ إليه فلا يلزم من كون الشيء على الشيء أنْ يكون الأعلى محتاجًا إلى ما تحته؛ فالسماوات فوق الأرض وليست محتاجة إلى الأرض.

❁ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو سبحانه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وهو سبحانه غني

عن العرش وعن سائر المخلوقات، لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته؛ بل هو الحامل بقدرته العرش وحملة العرش.

❁ وقد جعل تعالى العالم طبقات، ولم يجعل أعلاه مفتقرًا إلى أسفله؛ فالسماء لا تفتقر إلى الهواء والهواء لا يفتقر إلى الأرض، فالعلي الأعلى رب السموات والأرض وما بينهما الذي وصف نفسه بقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. أجل وأعظم وأغنى وأعلى منْ أنْ يفتقر إلى شيءٍ بحمل أو غير حملٍ؛ بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، الذي كل ما سواه مفتقرٌ إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه.اهـ. "مجموع الفتاوى"(١/ص:٣٦٧).

قوله: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ): محيط بكل شيء بعلمه، قال تعالى﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[النساء: ١٢٦]. وقال تعالى﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[فصلت: ٥٤]

قوله: (وفوقه) أي: فوق مخلوقاته بذاته قال تعالى﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٨]، وقال تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠].

❁ ومن تأول (**فوق**) بأنَّه خير من عباده وأفضل منهم، وأنَّه خير من العرش وأفضل منه كما يقال: (الأمير فوق الوزير)؛ فقد حرَّف الكلام عن ظاهره، وهو خلاف الدَّليل، وخلاف إجماع السَّلف، ولا يدلُّ عليه دليل صحيح.

وقوله: (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ): فخلقه لا يحيطون به، قال تعالى﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠].

إثبات الخلة لله والتكليم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنقُولُ: إِنَّ الله اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا)

قوله: (**إِنَّ الله اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**): قال تعالى﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[النساء: ١٢٥]. والخلة أعلى درجات المحبة.

❁ وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين فنفت محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، وأولت أدلة محبة الله لعباده بالإحسان إليهم، وأدلة محبة العباد لله بمحبتهم للطاعة والأوامر، وأنكرت الجهمية أنَّ الله اتخذ إبراهيم خليلًا قالوا: لأنَّ إثباتها يستلزم الحاجة. **وقوله:** (**وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا**): قال الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء: ١٦٤].

❁ وأنكرت الجهمية هذا وقالوا: معنى(**كلَّم**) أي: جرَّح بمخالب الحكمة؛ لحديث: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[(١)] أي: ما من مجروح يجرح، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف.

❁ وأول من أنكر حقيقة التَّكليم هو: الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية، وأخذه عَنْهُ الجهم بن صفوان؛ فأظهره، وإليه أضيف الجهمية، فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان بها، وهذا رواه عبد الله بن أحمد في "السنة"(ص:٣٧)، واللالكائي(٣/ص:

---

(١) رواه البخاري(رقم:٥٥٣٣)، ومسلم(رقم:١٨٧٦).

٣٧٩) **بسند صحيح**، ثُمَّ انتقل ذلك إلى المعتزلة، وأصل هذا مأخوذٌ مِنَ المشركين والصابئة، فهم ينكرون أنَّ الله اتخذَ إبراهيمَ خليلا وموسى كليما.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُؤْمِنُ بِالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)

سيأتي الكلام إن شاء الله على أركان الإيمان.

الرد على الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ، وَلا نَخُوضُ فِي الله، وَلا نُمَارِي فِي دِينِ الله)

قوله: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ): أهل القبلة هم: المسلمون جميعًا العاصي منهم والطائع، والسني منهم والمبتدع الذين يصلُّون إلى جهة القبلة؛ لما روى البخاري(رقم:٣٩٣) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المُسْلِمِ»**.

❖ وفي هذه الفقرة ردٌّ على الخوارج الذين يقولون: إنَّ مرتكب الكبيرة كافر خالد مخلد في نار جهنم، وعلى المعتزلة الذين يقولون: إنَّ مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، أمَّا في الآخرة؛ فإنه خالد مخلد في نار جهنم.

قوله: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ): أما منْ جحد ولم يعترف

فهو كافر، وإنْ آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر أيضًا.

قوله: (وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ): لأنَّه لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى، فمن ردَّ حديثًا صحيحًا يعترف بصحته، وقال: أنا لا أؤمن به فهو كافر.

قوله: (وَلا نَخُوضُ فِي اللهِ): كما خاض أهل البدع فتكلموا بغير علم في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله اتباعًا لأهوائهم، واتباعًا للظنِّ كما قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[النجم: ٢٣].

قوله: (وَلا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ): أي: لا نخاصم ولا نجادل أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم؛ التماسًا لامترائهم وميلهم؛ لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**». رواه الترمذي(رقم:٣٢٥٣) عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في "الصحيح المسند" (رقم:٤٧٩) لشيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لا نجادل بالباطل في القرآن

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَلا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ كَلامُ اللهِ تَعَالَى لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)

قوله: (وَلا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ) أي: بالباطل؛ فيدخل فيه ما يقوله أهل الزيغ أنَّه ليس كلام الله، ويدخل فيه الاختلاف في القراءة كما في "صحيح البخاري"(رقم: ٣٤٧٦) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ

الكَرَاهِيَةَ» وَقَالَ: «**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**».

❁ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحقِّ؛ لأنَّ كلا القارئين كان محسنًا فيما قرأه، وعلل ذلك بأنَّ من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.اهـ. "الاقتضاء"(ص:٣٥)

قوله: (**وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**): تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله (**وأن القران كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا**).

قوله: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**): هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمي روحًا؛ لأنَّه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو أمينٌ حق أمين، قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]، وقال تعالى ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[التكوير: ٢١].

قوله: (**فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ**): قال الله تعالى ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[النجم: ٥]. أي: عَلَّمَ جبريلُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا إبطال لتوهم القرامطة وغيرهم أنَّه تصوره في نفسه إلهامًا.

قوله: (**وَهُوَ كَلامُ الله**): قال تعالى﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٦]. وقال تعالى﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[الفتح: ١٥].

قوله: (**لا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلامِ الْمَخْلُوقِينَ**): قال الله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورى: ١١].

قوله: (**وَلا نَقُولُ بِخَلْقِهِ**): كما قالت الجهمية والمعتزلة.

قوله: (**وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**): يشير المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنَّ القول بأنَّ القرآن مخلوق مخالف لإجماع المسلمين.

لا يكفر المسلم بالمعصية

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَلا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)

صواب العبارة: (**ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بكل ذنب**) أي: كما تفعل الخوارج. **وقلنا:** (**بكل ذنب**) أصوب من (**بذنب**)؛ لأنَّ من الذنوب ما هي مكفِرةٌ، ففي هذه الفقرة ردٌّ على الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالمعاصي، ونظروا إلى الأدلة بعين عوراء فنظروا إلى نصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد.

❁ ومن الأدلة التي ترد عليهم قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] فجعل كل ما دون الشرك تحت المشيئة.

❁ وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[الحجرات: ٩ - ١٠]، فسمَّاهم مؤمنين مع اقتتالهم، وجعلهم إخوة لنا.

❁ وقال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[فاطر: ٣٢]؛ فجعل الظالم لنفسه من المصطفين.

❁ ومن السنة حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» رواه البخاري(رقم:٣١)، ومسلم (رقم:١٥)؛ فسماهم مسلمين مع اقتتالهم.

المعاصي تؤثر على الإيمان وتنقصه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ)

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الردِّ على المرجئة الذين أخروا الأعمال عن مسمَّى الإيمان فقالوا: ما دَامَ الإنسان مصدقًا بقلبه، فهو مؤمن كامل الإيمان، ولو عمل من الذنوب ما عمل، وقصر في الواجبات ما قصر، وهو وأعبد الناس سواء.

❁ **وشبهتهم**: أنَّهم نظروا إلى نصوص الوعد، وأهملوا نصوص الوعيد.

❁ **والرد عليهم**: أنَّ المعاصي تؤثر على الإيمان وتنقصه قال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم: ٣٥ - ٣٦]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨].

❁ ومن السنة حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». رواه مسلم (رقم: ٧٨).

لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(نرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلا نُقَنِّطُهُمْ)

هذه هي عقيدة أهل السنةِ أنَّهم لا يشهدون على أحد مُعين بالجنَّة إلا مَنْ شُهِد له بالكتاب والسنة، وكذلك بالنَّار، ولكنْ نرجو للمحسن الجنة، ونخاف على المسيء النَّار، هذا على سبيل التَّعيين.

❖ **أما على سبيل العموم**؛ فإنا نشهد للمؤمنين بالجنة، ونشهد للكافرين بالنَّار كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[الكهف: ١٠٧].

❖ وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦].

قوله: (وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ): لأنَّه أخونا في الإسلام، وإنْ كان مذنبًا قال الله تعالى ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[محمد: ١٩] .

قوله: (وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلا نُقَنِّطُهُمْ): نخاف عليهم العقوبة، ولكنْ لا نقنطهم من رحمة الله كما تفعله الخوارج والمعتزلة:

قال تعالى ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]. وقال تعالى ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر: ٥٦]. وقال تعالى ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن

رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٥٣].

الأمن والإياس

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالأَمْنُ وَالإِيَاسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الاسْلامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لأَهْلِ الْقِبْلَةِ)

يجب أنْ يكون العبد خائفًا راجيًا؛ فإنَّ الخوف المحمود الصَّادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله؛ فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

واليأس هو: استبعاد زوال المكروب. و**القنوط** هو: استبعاد حصول المطلوب.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنبًا ثم تاب مِنه إلى الله فهو راجٍ لمغفرته قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة: ٢١٨].

أمَّا إذا كان متماديًا في المعاصي يرجوا رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرور والأماني، وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٩]، فلا بد في العبادة من خوف ورجاء ومحبة فمن عبد الله بالمحبة فقط، فهو صوفي، ومن عبده بالخوف وحده؛ فهو خارجي، ومن عبده بالرجاء فقط فهو مرجئ، ولكن الخوف لا يكون معه قنوط، فإذا كان معه قنوط من رحمة الله صار كفرًا﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]، وكذلك الرجاء لا يكون معه أمْن من مكر الله، فإذا كان معه أمن بلا خوف؛ فإنه كفرٌ قال الله

تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩].

ولهذا قال المصنف:(يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الاسْلامِ).

قوله: (وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لأَهْلِ الْقِبْلَةِ): (الحق بينهما) -أي: الخوف والرجاء- لأهل القبلة أي: المسلمين سموا أهل القبلة؛ لأنَّهم يصلون إلى القبلة.

بماذا يخرج العبد من الإيمان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ)

أي: لا يخرج العبد من الإيمان إلا إذا جحد الذي أدخله فيه وهما: الشهادتان؛ فهو يشير إلى الردِّ على الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة.

❖ ولكن هذا الكلام فيه مؤاخذة؛لأنَّ قصر الكفر على الجحود مذهب المرجئة، ونواقض الإسلام كثيرة **منها**: الجحود، و**منها**: الشرك، و**منها**: الإستهزاء بالدين، وسب الله ورسوله، و**منها**: السحر، و**منها**: استحلال الحرام إلى غير ذلك من نواقض الإسلام، وقد ذكرها أهل العلم في باب حكم المرتد.

الكلام على الإيمان

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ، وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلازَمَةِ الأَوْلَى، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

❁ وَالإِيمَانُ: هُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَى، وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ)

قوله: (والإيمان هو: الإقرار باللسان والتصديق بالجنان): هذا تعريف المرجئة للإيمان، وهو غلطٌ.

❁ وعرَّف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنَّه نطقٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛

❁ فلم يخرج أهل السنة الأعمال عن مسمَّى الإيمان؛ لقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]. أي: صلاتكم.

❁ وسئل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**» رواه البخاري(رقم:٢٦)، ومسلم(رقم:٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

❁ ولحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ**

وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» رواه البخاري(رقم:٩)، ومسلم (رقم:٣٥)، فهذا الحديث جمع في الإيمان النُّطق، وعمل الجوارح، واعتقاد القلب.

❁ وذهب الكرامية إلى أنَّ الإيمان الإقرار باللسان فقط؛ فيلزم من قولهم هذا أنَّ المنافقين مؤمنون.

❁ وذهبت الجهمية إلى أنَّ الإيمان هو: معرفة القلب، فيلزم من هذا أنَّ فرعون وإبليس مؤمنان، وكذلك أبو طالب.

❁ وذهب الماترودية إلى أنَّ الإيمان هو: التصديق بالقلب فقط.

قوله: (وجميع ما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرع والبيان كله حق) يعني: دون تفريق بين آحاد ومتواتر ما دام أنَّه صحَّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّفريق بينهما بدعة. قاله العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: (والإيمان واحد وأهله في أصله سواء): هذا غلطٌ وباطلٌ؛ لأنَّ الإيمان ليس واحد وليس أهله سواء بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، وليس إيمان الخلفاء الراشدين، وبقية الصحابة، كإيمان غيرهم، وهذا هو قول أهل السنة أنَّ الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص خلافًا للمرجئة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**».رواه مسلم(رقم:٣٤)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى): هذا مبني على كلامه السَّابق، وهذا لا يكفي؛ لأنَّ معناه إخراج الأعمال عن مسمَّى الإيمان، وأنَّه إذا صدَّق بقلبه ونطق بلسانه، فهو مؤمن كامل الإيمان، والنَّاس لا يتفاضلون في ذلك،

وهذا خطأٌ كبير؛ لأنَّ التَّفاضل يحصل بما ذكره، وبالأعمال الصالحة.

وقوله: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن):

قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢ - ٦٣]. والله وليهم قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥٧]، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه قال تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء: ١١١].

قوله: (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقران) أي: أكرم المؤمنين هو: الأطوع لله والأتبع للقرآن وهو: الأتقى هو الأكرم قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣] .

❁ وفي "صحيح البخاري"(رقم:٣٣٥٣)، ومسلم(رقم:١٦٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل من أكرم الناس قال: «**أتقاهم**».

❁ وروى أحمد في "مسنده"(٥/ص:٤١١)، وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند"(رقم:١٥٢٣)عن أبي نضرة قال: «حدثني من سمع خطبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وسط أيام التشريق» فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**».

❁ ❁ ❁

أركان الإيمان

قوله: (**والإيمان هو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله**) هذه أركان الإيمان.

وقوله: (**الإيمان بالله**): يتضمن الإيمان بوجوده، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته. **وقوله:** (**وملائكته**): يتضمن الإيمان بهم **الإيمان المجمل**: وهو أنْ نؤمن بجميع الملائكة من علمنا منهم ومن لم نعلم، و**الإيمان المفصل** يتضمن:

١ – الإيمان باسم من سمى الله ورسوله منهم. ٢– الإيمان بصفة من وصف الله ورسوله منهم. ٣– الإيمان بعدد من ذكر الله ورسوله منهم بعدد. ٤– الإيمان بعمل من ذكر منهم بعمله.

قوله: (**وكتبه**): وأمَّا الإيمان بالكتب **فهو على قسمين:**

الأول: إيمان مجمل؛ فنؤمن بجميع الكتب المنزلة على المرسلين ما علمنا منها، وما لم نعلم، ونؤمن بأنَّ كل رسول معه كتاب قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥].

والثاني: إيمان مفصل بما سمي منها، وهي: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وقوله: (**ورسله**): وأمَّا الإيمان بالرسل **فعلى قسمين أيضا:**

الأول: إيمان مجمل بجميع من أرسلهم الله من علمنا منهم، ومن لم نعلم قال تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

﴿تَكۡلِيمٗا﴾[النساء: ١٦٤]، وقال تعالى ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[فاطر: ٢٤].

والثاني: إيمان مفصل بجميع من ذكر منهم في الكتاب والسنة، ومن ذلك من ذُكروا في سورة الأنعام.

قوله: (**واليوم الآخر**) سمي باليوم الآخر؛ لأنَّه لا يوم بعده، والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بالبعث، والنُّشور والحساب والجزاء والصراط والحوض والميزان وغير ذلك مما يكون يوم القيامة.

وقوله: (**والقدر خيره وشره**): يتضمن الإيمان **بمراتبه الأربع**: ١- العلم، و ٢- الكتابة، و٣- الخلق، و ٤- المشيئة، وقد تقدم الكلام عليها.

وقوله: (**لا نفرق بين أحد من رسله**): لأنَّ التَّفريق بينهم كفرٌ قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[النساء: ١٥٠ - ١٥١].

أهل الكبائر

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ -عز وجل- فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلايَتِهِ اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإسلام وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ)

قوله: (**وأهل الكبائر من أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين**):

❁ **اختلف أهل العلم في تعريف الكبيرة**

❁ قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصواب هي ما ترتب عليها حد في الدنيا، أو وعيد شديد يوم القيامة، أو لعن صاحبه أو تبري منه أو نفي إيمان.

❁ أمَّا **الصغائر**: فهي ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة اهـ.ملخصا من "مجموع الفتاوى"(١١/صـ:٦٥٠)، وفي كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة الذين يحكمون على فاعل الكبيرة بالخلود في النار يوم القيامة إنْ لم يتب من كبيرته قبل موته.

قوله: (**وإن لم يكونوا تائبين**): لأنَّ التوبة لا خلاف أنَّها تمحو الذنوب، وإنَّما

الخلاف في غير التائب.

قوله: (**بعد أن لقوا الله عارفين**): قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو قال مؤمنين بدل قوله: عارفين كان أولى؛ لأنَّ من عَرَفَ الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنَّما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردود باطل؛ فإنَّ إبليس عارف بربه﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[الحجر: ٣٦]، وكذلك فرعون وأكثر الكافرين.اهـ.

وقوله: (**ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته**):

❁ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**» رواه البخاري(رقم:٧٤١٠)، ومسلم (رقم: ١٩٣).

وقوله: (**ثم يبعثهم إلى جنته**):

❁ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**» رواه البخاري (رقم: ٦٥٦٠)، ومسلم(رقم:١٨٤).

وقوله: (**وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته**): قوله (**أهل معرفته**) فيه قصور وإيهام أنّ الإيمان هو: مجرد المعرفة كما يقول الجهم، فلو قال:(**أهل طاعته**) لكان أحسن وأوضح.

وقوله: (**ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته**): قال تعالى ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ﭐﻟﺼَّٰﻠِﺤَٰﺖِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[الجاثية: ٢١]. وقال تعالى﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨]

وقوله: (اللّٰهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به): هذا الدعاء ورد في حديث رواه الخطيب في "تاريخ بغداد"(١٢/صـ:٤٨٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنده ضعيف؛ لأنَّ فيه عيسى بن خلاد بن بويب وعبد الحميد بن واصل وهما مجهولان.

❁ **ومناسبة ختم الكلام بهذا الدعاء**: أنَّه سأل الله التثبيت ألَّا يضله الله مع أهل الضلالات، فهذا من الحكمة أنَّ الإنسان لا يغتر بعلمه ويقول: أنا أعرف العقيدة ولست على خطر هذا غرور.

جواز الصلاة خلف عصاة المسلمين

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

(وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ)

هذه الفقرة فيها ردٌّ على الخوارج الذين لا يرون الصلاة إلا خلف أنفسِهم، ولا يصلُّون خلف غيرهم بناءً على تكفيرهم للعصاة، ولا يصلون على من مات من المسلمين لأنهم يعتبرونه كافرًا.

❁ **أما أهل السنة والجماعة**؛ فيصلون خلف البر والفاجر، وإنْ استطاعوا تنحيته عن الإمامة فعلوا إذا أمنت الفتنة، ولو تمكنوا من الصلاة في مسجد آخر فعلوا زجرًا له وأمنت الفتنة مع اعتقادهم صحة الصلاة خلفه إن كان فاسقًا؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**» رواه البخاري(رقم:

٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ وأمَّا حديث: «**صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ**+»، وحديث: «**صلوا على من قال لا إله إلا الله، وصلوا خلف من قال لا إله إلا الله**» فضعيفان:

الأول: رواه الدارقطني(١٧٦٨) عن مكحول عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يسمع مكحول منه، **والثاني**: رواه الدارقطني(١٧٦١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء من طرق وكلها لا تصح.

الشهادة للمعين بالجنة والنار

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَلا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلا نَارًا، وَلا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله تَعَالَى)

قوله: (ولا ننزل أحدًا منهم جنةً ولا نارًا): من عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّهم لا يشهدون لمعين بجنَّةٍ أو نارٍ إلا منْ شَهِدَ له الله ورسوله، وإنَّما يشهدون للمؤمنين بالجنَّة ولا يعينون أحدًا بعينه، ويشهدون للكافرين بالنَّار، ولا يعينون أحدًا منهم بعينه قبل موته، **وللسلف في هذه المسألة ثلاثة أقوال:-**

القول الأول: -وهو الصواب- أنَّهم لا يشهدون إلا من شهد له الله ورسوله كأهل بدر، والعشرة المبشرين في الجنة، وعكاشة، وثابت بن قيس، وعبد الله بن سلام وغيرهم. **الثاني**: أنَّ من شهد له المسلمون بالجنة؛ فهو في الجنة، ومن شهدوا له بالنَّار؛ فهو في النار؛ لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها خيرًا» فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجبت**»، ومُرَّ بأخرى فأثني عليها بشرٍّ فقال: «**وجبت**» فقال عمر

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ما وجبت» فقال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض**»رواه البخاري(رقم:١٣٦٧)، ومسلم(رقم:٩٤٩).

الثالث: لا يشهد إلا للأنبياء، وهذا القول يخالف الأحاديث الصحيحة في شهادة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لبعض الصحابة بالجنَّة.

قوله: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله): لأننا مأمورون بالحكم بالظواهر، وترك السَّرائر، والبواطن إلى الله قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ» رواه البخاري(رقم:٢٦٤١).

المسلم معصوم الدم

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

(وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ)

لأنَّ المسلم معصوم الدم إلا من أذن فيه الشرع

❁ فعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» رواه البخاري(رقم:٦٨٧٨)،

ومسلم(رقم:١٦٧٦).

تحريم الخروج على ولاة أمور المسلمين وإن جاروا

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ الله -عز وجل- فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ وَالْمُعَافَاةِ)

قوله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا): في هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة، ومن سَلَكَ مسلكهم ممن يرون الخروج على الحاكم المسلم الفاسق أو الظالم.

❁ أمَّا أهل السنة والجماعة فيرون السَّمع والطاعة للحاكم المسلم، وإن كان فاسقًا أو ظالمًا ما لم يَأْمُر بمعصية فإذا أمَرَ بمعصية؛ فلا سمع ولا طاعة، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩].

❁ وفي "صحيح البخاري"(رقم:٢٩٥٧)ومسلم(رقم:١٨٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**».

وقوله: (وإن جاروا): الجور: الظلم فلا يرون الخروج عليهم، وإنْ ظلموا وتعدوا؛ لقول النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**» رواه مسلم(رقم:١٨٤٧) عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ». رواه البخاري (رقم:٦٦٤٧)، ومسلم(رقم:١٧٠٩).

وقوله: (**ولا ندعوا عليهم**) أي: بالشر بل ندعوا لهم بالخير قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو كانت لي دعوة مستجابةٌ لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنَّه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد »[1]. **قوله:** (**ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة**): لما سبق من الأدلة؛

❖ ولحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**». رواه البخاري(رقم:٧١٤٤)ومسلم(رقم:١٨٣٩).

السنة والجماعة

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ)

(**السنة**): طريقة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والجماعة: جماعة المسلمين وهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال، قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

---

(١) نقله البخاري عنه كما "شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة "للإمام اللالكائي (٣٢٠).

سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥].

ذم الخلاف والفرقة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلافَ وَالْفُرْقَةَ)

قوله: (**ونجتنب الشذوذ**): **الشذوذ في اللغة** هو: الندرة فنجتنب الشاذ من الأقوال والأعمال المجانبة للحق والصواب.

وقوله: (**والخلاف والفرقة**): قال الله تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]. والتَّفرق والاختلاف من سِمَات أهل البدع، والجماعة والائتلاف من سمات أهل السنة والحق.

- والمقصود باجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة الذي يقع بين أهل الحق.
- أمَّا الشذوذ عن أهل الباطل وإنْ كانوا هم الأكثر والخلاف معهم، ومفارقتهم، فأمرٌ مقصود شرعًا ومرضيٌ عند الله جل وعلا. **والخلاف على ثلاثة أقسام:**

الأول: اختلاف تنوع كما في أدعية الاستفتاح وهذا جائز.

الثاني: اختلاف أفهام كما في وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع وهذا

جائز.

الثالث: اختلاف تضاد وهو: تقابل الحق مع الباطل، أو مخالفة النَّص، وهذا مذموم بين أهل الحق.

الحب في اللّه والبغض في اللّه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ)

هذا من كمال الإيمان أي: الحب في الله والبغض في الله؛ ففي "صحيح البخاري"(رقم:١٦)ومسلم(رقم:٤٣)عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

❖ وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**». **حديث صحيح** رواه أبو داود(رقم:٤٦٨١) عن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في "الصحيحة"(رقم:٣٨٠)

❖ ولأنَّ محبة الصالحين من محبة الله، ومن محبة ما يحبه الله.

تحريم القول على الله بلا علم

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنَقُولُ: الله أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ)

لأنَّ الله حرَّم القول عليه بلا علم، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٣].وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

وفي "صحيح البخاري"(رقم:١٣٨٤)، ومسلم(رقم:٢٦٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذراري المشركين» فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». وكان إذا سُئِلَ عن شيء لا يعلمه توقف حتَّى ينزل عليه الوحي.

الرد على الرافضة في مسألة المسح على الخفين

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ)

هذه الفقرة ردٌّ على الرافضة الذين أنكروا المسح على الخفين؛ فأدخل الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسح على الخفين في عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد دلَّ على مشروعية المسح على الخفين السنة الصحيحة المتواترة.

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مما تـواتر حـديث مـن كـذب ومـن بنـى لله بيتًـا واحتسـب
ورؤيـة شـفاعة والحـوض ومسـح خفـين وهـذي بعـض

❁ والرافضة يرون المسح على الرجلين، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾[المائدة: ٦] على قراءةِ الجر وهي قراءة صحيحةٌ:

❁ ولكن الجر هنا للمجاورة، وهذه لغةٌ عند العرب مثل قول بعضهم: (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ)، فـ(خرب) ليست صفة لضبٍّ، وإنما هي صفة لـ(جحر)، وجحر مرفوع، ولكن من أجل المجاورة وسهولة النطق جُرَّت.

❁ والمشهور أيضًا من قراءة الآية الفتح عطف على المغسولات على ﴿وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾[المائدة: ٦]؛ فأُدخِل الممسوح بين المغسولات من أجل الترتيب، ولو أخر لفهم أنَّ مسح الرأس بعد غسل الرجلين، وقيل: إنَّ قراءة الجر محمولة على المسح على الخفين وهو قول قوي.

الرد على الرافضة في مسألة الإمامة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلا يَنْقُضُهُمَا)

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الردِّ على الرافضة حيث قالوا: لا ينعقد جهادٌ إلا مع إمامهم المنتظر محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السِّرداب في زعمهم سنة ستين ومائتين أو قريبًا من ذلك بسامرا.

ويشترطون في الإمام أنْ يكونَ معصومًا، وهو خلاف الكتاب والسنة وإجماع

السلف؛ فالعصمة ليست لأحدٍ بعد الأنبياء.

وقد روى مسلم في "صحيحه"(رقم:١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**». **قوله: (مع أولي الأمر برهم وفاجرهم)**: لأنَّ الحج والجهاد أمران يتعلقان بالسَّفر فلا بدَّ من سائس يسوس النَّاس فيهما، ويقاوم فيها العدو وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

الإيمان بالحفظة

قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى:

(وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ)

قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠ - ١٢]. وقال تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨]. وقال تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف: ٨٠].

الإيمان بملك الموت

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ)

قال الله تعالى ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

❖ ولا تعارض هذه الآية قوله تعالى ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام: ٦١]. وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾[الزمر: ٤٢]؛ لأنَّ ملك الموت يتولى قبضها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده كل ذلك بأمر الله، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه.

قوله: (**أرواح العالمين**): اتفق أهل السنة والجماعة على أنَّ الأرواح مخلوقة نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر: ٦٢].

الإيمان بعذاب القبر وفتنته

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً وَنُؤْمِنُ بِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم،وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ)

في هذه الفقرة ردٌّ على الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة، وغلاة الرافضة الذين ينكرون عذاب القبر، وتحت هذه الفقرة مسائل:-

الأولى: أن عذاب القبر دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

❁ أما الكتاب فمن ذلك قول الله تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦].

❁ وأما من السنة، فمن ذلك ما في "صحيح البخاري"(رقم:٢١٦) ومسلم (رقم:٢٩٢)عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: **«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»**.

❁ والسلف مجموعون على ذلك نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثانية: أنَّ الإنسان يسأل في قبره عن ربه ودينه ونبيه.

والدليل حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد(٤/ص:٢٨٧)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند"(رقم:١٤١).

الثالث: هل يستثنى أحد ممن يسألون في قبورهم ؟.

الصحيح أنَّه يستثنى الأنبياء والشهداء والأطفال والمجانين:

❁ **أما الأنبياء**؛ فلأنَّهم رسل الله إلى خلقه؛ فكيف يسألون عن أنفسِهم وعن النبي الذي أرسل إليهم.

❁ **وأما الشهيد**: فلما جاء في "صحيح مسلم"(رقم:١٩١٣): عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»

❁ **وأما الأطفال والمجانين** الذين جنوا قبل بلوغهم ثم ماتوا وهم على ذلك؛ فلقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**».

❁ **وأما الكفار الخلص** ففيهم قولان للعلماء –**أصحهما**-: أنَّهم يسألون، وإليه ذهب ابن القيم، ويدلُّ عليه حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن سوى ذلك فهم داخلون تحت العمومات.

الرابع: هل عذاب القبر خاص بهذه الأمة أم أنه يشمل الأمم المتقدمة أيضا؟

الصحيح عمومه؛ لقوله تعالى في آل فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[غافر: ٤٦]،

❁ ولما رواه مسلم(رقم:٢٨٦٩) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».

❁ ولما في "صحيح البخاري"(رقم:٦٣٦٦)ومسلم(رقم:٥٨٦) عن عائشة

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ يهودية حدثتها عن عذاب القبر، وأخبرت بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقرها على ذلك».

الخامس: هل عذاب القبر دائم أم منقطع ؟.

❁ **أما على الكفار**؛ فدائم، وكذلك المنافقين بدليل حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عند أحمد(٤/صـ:٢٨٧).

❁ و**أما من سواهم من أهل المعاصي** فقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه مدة ثم ينقطع.اهـ.

السادس: هل يقع العذاب على الروح والجسد أم على الروح فقط ؟

❁ اختلف أهل السنة في هذه المسألة:

والصواب ما ذهب إليه شيخ الإسلام أنَّ الروح قد تشترك مع الجسد في العذاب، وقد يقع على الروح فقط.

❁ قوله: «**والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**» هذا حديث أخرجه الترمذي(رقم:٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: عبيد الله ابن الوليد الوصافي متروك قاله النسائي، وفيه: أيضًا: عطية العوفي، وهو ضعيف ومدلس وشيعي. وأخرجه الطبراني في "الأوسط"(رقم:٨٦١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: محمد بن أيوب بن سويد. قال الدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: لاتحل الرواية عنه؛ فالحديث ضعيف جدًّا، ولكن يغني عنه حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد(٤/صـ:٢٨٧). هذا ومسائل القبر ونعيمه، وما فيه من العذاب من الأمور الغيبية التي يجب علينا أنْ نؤمن بها.

الإيمان بالبعث

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ)

البعث لغة: التَّحريك والإثارة، **وشرعا:** خروج النَّاس من قبورهم إلى أرض المحشر للحساب والجزاء، ومن أنكر البعث كفر قال الله تعالى ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[التغابن: ٧].

❁ وهو ركن من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقد اتفق عليه جميع الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإبليس معترف به قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[الحجر: ٣٦].

الإيمان بالجزاء

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

قال الله تعالى﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة: ٤]، وقال تعالى ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾[النور: ٢٥]. وقال تعالى ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة: ٧ – ٨].

❁ وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في "صحيح مسلم"(رقم:٢٥٧٧):

«**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا**».

العرض والحساب

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ)

قال الله تعالى ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾[الحاقة: ١٨]. وقال تعالى ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف: ٤٨]. وفي "صحيح البخاري"(رقم:١٠٣)ومسلم(رقم:٢٨٧٦) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾[الانشقاق: ٨]؟ قَالَ: «**ذَاكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**».

هل الكفار يحاسبون

❖ اختلف العلماء في هذه المسألة **على قولين:**

أحدهما: أنهم يحاسبون، واستدلوا بقولِ الله تعالى﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقولِه تعالى﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥ - ٢٦].
وقولِه تعالى ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾[الزخرف: ١٩].

والثاني: أنهم لا يحاسبون، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾[الرحمن: ٣٩]، وقولِه تعالى﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[القصص: ٧٨].

والراجح هو القول الأول.

❁ **وأما الإجابة عن أدلة أصحاب القول الثاني** فهو: أنَّ القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال، وموطن لا يكون فيه سؤال، وهذه الإجابة للقرطبي والشوكاني وابن بطة في "الإبانة". انظر: "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" (ص: ٦٧٥)، و"مجموع الفتاوى" (٤/ص: ٣٠٥).

ما المقصود بحساب الكفار

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفَصْلُ الْخِطَابِ أَنَّ الْحِسَابَ يُرَادُ بِهِ عَرْضُ أَعْمَالِهِمْ عَلَيْهِمْ وَتَوْبِيخُهُمْ عَلَيْهَا وَيُرَادُ بِالْحِسَابِ مُوَازَنَةُ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ:

❁ فَإِنْ أُرِيدَ بِالْحِسَابِ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

❁ وَإِنْ أُرِيدَ الْمَعْنَى الثَّانِي؛ فَإِنْ قُصِدَ بِذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ تَبْقَى لَهُمْ حَسَنَاتٌ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الْجَنَّةَ فَهَذَا خَطَأٌ ظَاهِرٌ.

❁ وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعِقَابِ؛ فَعِقَابُ مَنْ كَثُرَتْ سَيِّئَاتُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِقَابِ مَنْ قَلَّتْ سَيِّئَاتُهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ خُفِّفَ عَنْهُ الْعَذَابُ كَمَا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ أَخَفُّ عَذَابًا مِنْ أَبِي لَهَبٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[النحل: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[التوبة: ٣٧].

❁ وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الْكُفَّارِ عَذَابُهُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ بَعْضٍ -لِكَثْرَةِ سَيِّئَاتِهِ وَقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ- كَانَ الْحِسَابُ لِبَيَانِ مَرَاتِبِ الْعَذَابِ لَا لِأَجْلِ دُخُولِهِمْ الْجَنَّةَ.اهـ. "مجموع الفتاوى" (٤/ص: ٣٠٥).

قراءة الكتاب والثواب والعقاب

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ)

قوله: (وقراءة الكتاب): قال تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾[الإسراء: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴾[الحاقة: ١٩ - ٢٤].

وقوله: (والثواب والعقاب) الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات.

الإيمان بالصراط

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالصِّرَاطِ)

❁ **الصراط لغة:** الطريق الواسع المستقيم و**شرعا**: جسر منصوب على متن جهنم يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، وجميع المؤمنين والمنافقين يمرون عليه قال الله تعالى

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم: ٧١]، وقد أنْكرَ الصراطَ الجهميةُ والمعتزلةُ وجماعةٌ من الخوارج وحرَّفوا النُّصوص الواردة فيه بأنَّ المراد منها الطريق.

هل يمر الكفار على الصراط

❁ **اختلف العلماء في ذلك على قولين أحدهما:** أنَّهم يمرون لعموم الآية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[مريم: ٧١]،

والثاني: أنَّهم لا يمرون، واستدلوا بحديث أبي سعيدرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح البخاري"(رقم:٤٥٨١)، ومسلم(رقم:١٨٣)، وفيه: أنَّ النَّبيصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فيقال لليهود: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ...**»-إلى أن قال- «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّم**...الحديث».

فقوله «**الجسر**» هو: الصراط بعد أن ذكر تساقط الكفار فيه دليلٌ على أنَّهم لا يمرون عليه **وهذا هو الراجح**.

❁ ويستثنى من ذلك المنافقون؛ فإنَّهم داخلون في قولهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ**»؛ فإنَّهم يتظاهرون بالعبادة لله.

انظر: "بدائع الفوائد"(٣/ص:١٠٥)، و"شفاء العليل"(ص:٢٦٠)، و"الحاوي للفتاوي"(٢/ ٢٣٧).

الإيمان بالميزان

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالْمِيزَانِ)

أي: ونؤمن بالميزان، وأدلته كثيرة:

منها: قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

ومن السنة حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**» رواه البخاري(رقم:٦٤٠٦)، ومسلم(رقم:٢٦٩٤).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**».

رواه أحمد(٢/صـ:٢١٣)، والترمذي(رقم: ٢٦٣٩) وهو في "الصحيح المسند"(١/ صـ: ٦١٤) لشيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هل الميزان واحد أم متعدد

❁ **فيه قولان أحدهما:** أنَّه متعددٌ، واستدلوا بقوله تعالى ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾[الأنبياء: ٤٧].

والثاني: أنَّه واحد، واستدلوا بحديث أبي هريرةرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**».

قالوا: والجمع في الآية إنَّما هو باعتبار الموزون وتنوع الأعمال.

❁ وهذا **هو الراجح** وبه قال الجمهور. والله اعلم.

انظر: "تفسير ابن كثير" تفسير آية(٤٧) من سورة الأنبياء، و"الفتح"(١٣/صـ: ٥٣٨)، و"لوائح الأنوار"(٢/صـ:١٩٤)للسفاريني، و"شرح الواسطية"(صـ:٤٩٩)لابن عثيمين رحمهم الله و"التنبيهات السنية"(صـ: ٢٢٨)للرشيد، وكتابي"التذكرة بميزان الآخرة".

❁ **وللميزان كفتان حقيقيتان**، والدليل حديث صاحب البطاقة وقد تقدم.

هل الموزون الأعمال أم الأشخاص؟

❁ **فيه ثلاثة أقوال: أولاها:** (الأعمال)، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ**﴾[القارعة: ٦]، وحديث البطاقة، وحديث: «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**» رواه مسلم(٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيها: (الأشخاص)؛ لحديث أبي هريرةرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» رواه البخاري(رقم:٤٧٢٩)ومسلم(رقم:٢٧٨٥).

❁ وحديث ابْنِ مَسْعُودٍرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ

السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» رواه أحمد(١/صـ:٤٢٠)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في"الصحيح المسند"(رقم:٨٣٧).

ثالثها: (أنَّهما معا) جمعًا بين الأدلة، وهو الأقرب وهو ظاهر كلام ابن أبي العز.

انظر: "تفسير ابن كثير"(الأعراف/آية/٨)، و"شرح العقيدة الطحاوية"(صـ:٤١٩) لابن أبي العز، و"معارج القبول"(٢/صـ: ٨٤٨ - ٨٤٩)، وكتابي "التذكرة بميزان الآخرة".

من الذين أنكروا الميزان وبماذا حرفوا أدلته

قد أنكره أكثر المعتزلة، والجهمية، والخوارج، والمرجئة، والفلاسفة، وحرَّفوا النُّصوص الواردة فيه بأنَّ المراد به العدل. انظر: "التذكرة بميزان الآخرة".

هل توزن أعمال الكفار

❁ **اختلف العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال:**

أولاها: (توزن)، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٤]. وقال تعالى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٩].

وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة: ٨ - ٩].

❁ قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في"التذكرة"(صـ:٣٧٧): وهذه الآيات إخبارٌ لوزن

أعمال الكفار؛ لأنَّ عامَّة المعنيين بقوله﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار.اهـ.

❁ وهذا القول اختاره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "النهاية"(٢/صـ:٢٢٩)، وظاهر ترجيح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح الواسطية"(صـ:٥٠٥).

ثانيها: (أنَّها لا توزن)، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥].

❁ وبحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥]. رواه البخاري(رقم:٤٧٢٩)، ومسلم(رقم:٢٧٨٥).

❁ وهذا القول اختاره السفاريني في "البحور"وأما في "اللوائح"؛ فاختار القول الأول. **ثالثها:** (التفريق بين الكافر الذي لاذنب له إلا الكفر، ولم يعمل حسنة)؛ فإنَّه يقع في النَّار من غير حساب ولا ميزان؛ لقوله تعالى ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[الرحمن: ٤١].

وبين: (الكافر الذي له حسنات من صدقة وصلة وغير ذلك)؛ فيوزن عمله وهذا القول اختاره القرطبي وابن حجر.

رابعها: (أنَّ الذين توزن أعمالهم من الكفار المنافقين، وأما بقية الكفار فلا توزن أعمالهم)، واستدلوا بحديث التجلي وفيه: «**وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا**»[1] وهذا القول احتمله السيوطي.

❁ **والراجح من هذه الأقوال هو أنَّها توزن مطلقًا لعموم الأدلة.**

وأما قوله تعالى ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥]؛ فالمقصود وزنًا يعتد به

(١) أخرجه البخاري (رقم:٨٠٦)، ومسلم(رقم:١٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وينفعهم.

❁ فإذا كان القول الراجح أنَّها توزن فكيف توزن ولا حسنات لهم؟

فالجواب: أنَّ الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى، فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة، وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية؛ لأنَّ الله وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغًا فهو خفيف.

انظر: "التذكرة"(١/ص: ٣٧٧ – ٣٧٨)، و(٣٨١ – ٣٨٢)، و"النهاية" لابن كثير(٢/ص: ٢٢٩ – ٢٣٠)، و"لوائح الأنوار"(٢/ص: ٢٠٣ – ٢٠٤)، و"البحور الزاخرة"(٢/ص: ٨٦٦) كلاهما للسفاريني و"البدور السافرة" (ص:٣١٨ – ٣١٩)، و"شرح الواسطية"(ص:٥٠٥) للعلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ و"التذكرة بميزان الآخرة".

الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلا تَبِيدَانِ؛ فإنَّ الله تعالى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النَّار عدلاً منه وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ)

قوله: (والجنة والنار مخلوقتان): اتفق أهل السنة والجماعة على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتَّى نبغت نابغة من المعتزلة وطائفة من الخوارج؛ فأنكرتْ ذلك وقالت: بل ينشئها الله يوم القيامة، وقالوا: خلق الجنَّة قبل الجزاء عبثٌ؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة.

❁ والنصوص تدل على أنَّهما موجودتان:

قال الله تعالى عن الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣]، وعن النار﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٤].

❁ **وشبهة هؤلاء**: أنَّهم قالوا: لو كانت مخلوقة الآن لوجب أنْ تفنى يوم القيامة لقول الله تعالى﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[القصص: ٨٨].

والجواب: أنَّ معنى الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ ﴾: مما كتب عليه الفناء والهلاك ﴿هَالِكٌ ﴾ والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش؛ فإنَّه سقف الجنَّة.

❁ قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناظمًا المستثنى من الفناء والهلاك:

ثمانيــــة حكــــم البقـــاء يعمهـــا ... من الخلق والباقون في حيز العدم

هــي العـرش والكـرسي نـار وجنـة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

عدم فناء الجنة والنار

قوله: (لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان): وقد دلَّ على عدم فناء الجنة والنار الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة:

❁ ومن ذلك الآيات الدالة على تأبيد أهل الجنة في الجنة وأهل النار الكفار في النار قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر: ٤٥ - ٤٨]. وقال في نعيم الجنة﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود: ١٠٨]، وقال تعالى ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[الرعد: ٣٥]. وقال تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[ص: ٥٤].

❁ وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى**

بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ[(١)]، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ[(٢)] وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ» رواه البخاري(رقم:٤٧٣٠)، ومسلم(رقم:٢٨٤٩).

❁ أما ما نقل من الآثار عن الصحابة والتابعين بفناء النَّار؛ فلم يصح من ذلك شيء كما بيَّنَهُ الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كشف الأستار".

❁ ولم يأتِ دليلٌ صحيحٌ صريحٌ يدلُّ على فناء الجنَّة والنَّار، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل السنة على عدم فناء الجنة والنار فقال: وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ مَا لَا يَعْدَمُ وَلَا يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.اهـ. "مجموع الفتاوى"(١٨/ص: ٣٠٧)

❁ وقد قال بفنائهما الجهم وكفره أهل العلم بذلك.

❁ **ومن الأدلة على عدم فناء النار** قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[المائدة: ٣٧]، وقال تعالى﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[الفرقان: ٦٥].أي: مقيمًا لازمًا، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[الزخرف: ٧٤-٧٥]، وقوله تعالى ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[النبأ: ٣٠]. وقوله عز وجل﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الجن: ٢٣]. وقوله تعالى﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧].

قوله: (وخلق لها أهلا): الدليل على ذلك حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا،

---

(١) (**أملح**)أبيض يشوبه سواد.

(٢) (**فيشرئبون**): يمدون أعناقهم لينظروا.

قَالَتْ: «دُعِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ»، قَالَ: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**» رواه مسلم(رقم:٢٦٦٢).

قوله: (**وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له**): الدليل على ذلك قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه**» متفق عليه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخير والشر مقدران

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

(وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ)

قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالى﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق: ١ - ٢]. وقال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد: ٢٢]، وقد سبق الكلام في القدر.

أقسام الاستطاعة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لا يُوصَفُ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ.

وَأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]).

❁ الاستطاعة عند أهل السنة والجماعة التي يفعل بها العبد العمل قسمين:

الأولى: استطاعة مع الفعل مقارنة له، وهذه بمعنى التوفيق من الله فهذه يلزم منها وجود الفعل؛ فإنَّ اللهَ إذا وفق عبدًا على عمل؛ فإنَّه لا بدَّ من وجود ذلك العمل قال الله تعالى ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾[هود: ٢٠]، فلما لم يوفقوا للسمع لم يحصل لهم.

الثانية: استطاعة قبل الفعل، ومعناها: قدرة العبد على العمل وسلامة أعضاءه التي لا يتم العمل إلا بها وهي مناط التكليف؛ فإنْ لم يكن له هذه الاستطاعة سقط عنه التكليف؛ فالواجبات تسقط بالعجز عنها، وهذه قاعدة عند العلماء والدليل قوله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦] ، وقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

❁ وحديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت بي بواسير فسألت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة فقال: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى**

جَنْبٍ» رواه البخاري(رقم:١١١٧).

أفعال العباد

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ الله، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)

❁ الدليل على أنَّها خلقٌ لله قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الصافات: ٩٦]، وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[الزمر: ٦٢].

❁ والدليل على أنَّها كسب العباد قوله تعالى ﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله تعالى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[الزخرف: ٧٢]، وهذه هي عقيدة أهل السنة.

❁ وخالفهم القدرية النُّفاة فقالوا: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادةٌ، ولا قدرةٌ، ولا خلق.

ونرد عليهم بأمرين:

أولا: أنَّه مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[الزمر: ٦٢]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الصافات: ٩٦].

ثانيًا: أنَّ الله مالك السمواتِ والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادتُه وخلقه؟!

❁ والجبرية فقالوا: العبد مجبور على فعله، وليس له اختيار في ذلك.

ونرد عليهم بأمرين:

أولا: أنَّ الله أضاف عمل الإنسان إليه، وجعله كسبًا له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبورًا عليه ما صحَّ نسبته إليه، ولكان عقابه عليه ظلمًا.

ثانيًا: أنَّ كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخصٌ على آخر وادعى أنَّه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعُدَّ ذلك سفهًا مخالفًا للمعلوم بالضرورة.

التكليف

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ الله تَعَالَى إِلا مَا يُطِيقُونَ، وَلا يُطِيقُونَ إِلا مَا كَلَّفَهُمْ وَهُوَ تَفْسِيرُ:(لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِالله) نَقُولُ: لا حِيلَةَ لأحَدٍ، وَلا حَرَكَةَ لأحَدٍ، وَلا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله إِلا بِمَعُونَةِ الله، وَلا قُوَّةَ لأحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ الله وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلا بِتَوْفِيقِ الله)

قوله:(ولم يكلفهم الله تعالى إلا بما يطيقون): قال تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٨٦] وفي "صحيح مسلم"(رقم:١٢٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**قال الله: نعم**» وجاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في "صحيح مسلم"(رقم:١٢٦) أيضا: «**قال الله تعالى: قد فعلت**». **قوله: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم)**: هذا غير صحيح بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه، ولكنَّه عز وجل لطيف بعبادِه ويسر عليهم ولم يجعل عليهم

في دينِهم حرجًا تفضلًا منه وإحسانًا والله ولي التوفيق قاله العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كل شيء بقدر

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا)

قوله: (**وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره**): يريد بقضائه الكوني لا الشرعي.

وقوله: (**غلبت مشيئته المشيئات كلها**): قال الله تعالى﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير: ٢٩].

وقوله: (**وغلب قضاؤه الحيل كلها**): مهما عملت من الأسباب إذا لم يقدِّر الله المسبَّب فلا ينفعك السبب.

وقوله: (**يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا**): قال تعالى﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[ق: ٢٩]، وقال تعالى﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[النحل: ١١٨]، وقال تعالى﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٩]،

❖ وقال كما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**» رواه مسلم(رقم:٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

❀ ❀ ❀

تنزيه الله تعالى

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٣])

قوله: (تقدس عن كل سوء وحَين) أي: تنزه تعالى عن كل سوء في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله. و(**حَين**)أي: هلاك فهو الحي الذي لا يموت.

وقوله: (لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون): لا يسأل عن فعله؛ لأنَّه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، أمَّا الخلق فيسألون؛ لأنَّهم يخطئون.

ما يصل نفعه إلى الميت

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ)

الدليل على انتفاع الميت بالدعاء حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» رواه مسلم(رقم:١٦٣١).

وقوله: (وصدقاتهم منفعة للأموات): لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟» قَالَ: «**نَعَمْ**». رواه البخاري

(رقم:١٣٨٨)ومسلم(رقم:١٠٠٤).

❁ **ومما يصل إلى الميت قضاء صوم الفرض عنه**؛ لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»رواه البخاري (رقم:١٩٥٢)ومسلم(رقم:١١٤٧).

❁ **ومما يصل ثوابه إلى الميت الحج عنه**؛ لما في"صحيح البخاري"(رقم: ٢٧٥٦)عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَقَالَتْ: «إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا»؟ قَالَ: «**نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ**».

❁ وأجمع المسلمون على أنَّ قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي ومن غير تركته قاله ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ **واختلف في العبادات البدنية الأخرى كالصلاة وقراءة القرآن والذكر هل يصل ثوابها إلى الميت أم لا ؟**

❁ فذهب إلى أنه يصل أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف ودليلهم القياس على الحج والصيام والصدقة.

❁ وذهب الشافعي ومالك إلى عدم وصولها -**وهو الصحيح**-؛ لأنَّ الأدلة إنَّما وردَت في الحجِّ والصيامِ والصدقةِ والدعاءِ فلا يقاس عليها غيرها؛ ولأنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لم يفعلوا ذلك؛ ولأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾[النجم: ٣٩].

❁ ❁ ❁

استجابة الله للدعاء

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ)

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي عليه أكثر المسلمين وسائر أهل الملل أنَّ الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.اهـ.

تمام ملك الله وغناه وافتقار العباد إليه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ)

قوله: (ويملك كل شيء ولا يملكه شيء): قال الله تعالى﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]. وقال تعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١].**قوله: (ولا غنى عن الله طرفة عين)**: قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ

ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[فاطر: ١٥].

قوله: (**وصار من أهل الحين**) أي: الهلاك.

صفة الغضب والرضى

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى)

أي: الخلق قال الله تعالى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[البينة: ٨]، وقال تعالى ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٧٢]، وقال تعالى﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨].

❖ وفسَّر أهل التعطيل الرضى بالثواب وقولهم هذا خلاف ظاهر النُّصوص، وخلاف طريقة السَّلف، وليس عليه دليل صحيح.

وقال تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٦٠]، وقال تعالى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء: ٩٣]، وقال تعالى ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٦١]، وفسره أهل التعطيل بالانتقام.

❖ **ونرد عليهم**: ١- بأنَّ قولهم هذا خلاف ظاهر النُّصوص. ٢- وخلاف طريقة السلف، ٣- وليس عليه دليلٌ صحيح.

وبوجه رابع: وهو أنَّ الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[الزخرف: ٥٥] أي: أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف: ٥٥]؛ فجعل الانتقام نتيجة للغضب؛ فدلَّ على أنَّه غيره.

قوله: (**لا كأحد من الورى**): قال الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

الصحابة رضي الله عنهم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ نُفْرِطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ)

قوله: (**ونحب أصحاب رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ): (الصحابي) هو: من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك.

❖ ونحبهم؛ لأنَّ الله أثنى عليهم، ورضي عنهم ورضوا عنه، واختارهم لصحبة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ ولأنَّهم نقلة الدين؛ ولأنَّهم خير القرون؛ ولأنَّهم ناصروا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك.

قال الله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: ٢٩]، وقال تعالى﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ١٨]. وقال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[الحديد: ١٠].

قوله: (**ولا نفرط في حب أحد منهم**): **الإفراط** هو: الغلو أي: لا نغلوا في حبِّ أحد مِنْهُم كما غلت الرافضة في حبِّ عليٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على زعمهم وإلا فالظاهر أنهم يبغضون عليًا والمسلمين جميعًا؛ فالغلو مذموم في الصحابة، وفي غيرهم.

❁ قال الله تعالى﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾[النساء: ١٧١].

❁ وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوّ فِي الدِّين**» رواه أحمد(١/صـ: ٢١٥و٣٤٧)، والبيهقي(٥/صـ:١٢٧) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **بإسناد حسن**، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيحة" (رقم:١٢٨٣).

قوله: (**ولا نتبرأ من أحد منهم**): كما فعلت الرافضة فعندهم لا ولاء إلا ببراء أي: لا ولاء لأهل البيت إلا ببراء من أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: (**وحبهم دين وإيمان وإحسان**): لأنَّه امتثال لأمر الله.

قوله: (**وبغضهم كفر ونفاق وطغيان**): لأنَّ بغضهم من بغض النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ❁ ❁

الخلفاء الراشدون

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلاً: لأبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تَفْضِيلاً لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ الْمُهْتَدُونَ)

قوله: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولا: لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة):

❁ اختلف أهل السنة في خلافة أبي بكر فقيل: ثبتت بالنَّص الخفي والإشارة، ومنهم من قال: بالنَّص الجلي، ومنهم من قال: باختيار من الصحابة، **والصحيح** أنَّها ثبتت بالنَّص الخفي والإشارة والاختيار من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

❁ والدليل على ذلك ما رواه البخاري(٥٦٦٦)، ومسلم(رقم:٢٣٨٧) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اليوم الذي بدئ فيه فقال: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**».

❁ وما رواه البخاري(رقم:٣٦٥٩)، ومسلم(رقم:٢٣٨٦) عن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ»، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ -كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ- قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**».

❁ وفي "الصحيحين" عن عائشة وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»

❁ **وأمَّا اتفاق الصحابة**؛ فإنَّهم اتفقوا على بيعته، ولم يبايعه سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنَّه كان يطلب الولاية ثم بايعه بعد ذلك، وأيضًا لم يبايعه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم بايعه بعد ذلك.

وقوله: (**ثم لعمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتِّفاق الأُمة بعده عليه، وهو أفضل أمَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضائله كثيرة جدًّا.

وقوله: (**ثم لعثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **ثم لعلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أي: ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقد جعل الخلافة قبل موته في ستة: عثمان وعلي وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير؛ فتنازلوا جميعًا لعلي وعثمان فشاور عبد الرحمن بن عوف النَّاس كما في "صحيح البخاري"؛ فاختار النَّاس عثمان فبايعه ابن عوف والنَّاس ومنهم علي بن أبي طالب، فلما قُتِلَ عثمان اختار الناس عليًّا خليفة له، وكانت خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثني عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين.

وقوله: (**وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون**): لحديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**» رواه الترمذي(رقم:٢٦٧٦)، وابن ماجه(رقم:٤٢)، وحسنه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند"(رقم:٩٢١).

❁ ❁ ❁

ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل

ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة بالإجماع نقله غير واحد من أهل العلم.

❖ وقد كان حصل خلاف بين أهل السنة من قبل في عثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أيهما أفضل ثُمَّ بعد ذلك أجمعوا على تقديم عثمان.

❖ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ في "الواسطية": مع أنَّ بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بعد اتِّفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم علي وقوم توقفوا لكن استقر أهل السنة على تقديم عثمان على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.اهـ.

قلت: والدَّليل على تقديم عثمان على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ما رواه البخاري(رقم: ٣٦٥٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ».

العشرة المبشرون بالجنة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُم: أَبُو بَكرٍ، وعُمَر، وَعُثْمان، وَعَلي، وَطَلحَةَ، والزُّبير، وَسَعد، وَسَعِيد، وَعَبْدَ الرَّحمن بن عوف، وأبُو عُبيدة بْنَ الجَراح، وهو أمينُ هذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِين)

❁ **الدليل على أن العشرة في الجنة**: ما رواه أبو داود(رقم:٤٦٤٩) عن سَعِيد بْن زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ**»، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ قَالَ: فَقَالُوا: «مَنْ هُوَ؟» فَسَكَتَ. قَالَ: «فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟» فَقَالَ: هُوَ «**سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ**». الحديث صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تحقيقه على "شرح الطحاوية" لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "القدر"(٤١٩-٤٢١).

❁ وما رواه الإمام أحمد(١/ص: ١٩٣) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**». وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليق على "شرح العقيدة الطحاوية"

لكن رجَّح البخاري، وأبو حاتم والترمذي أنَّه عن سعيد بن زيد، وليس عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله: (وهو أمين هذه الأمة): لما في "صحيح البخاري"(رقم:٣٧٤٤)، ومسلم(رقم:٢٤١٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**».

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أهل نجران إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: «يا رسول الله: ابعث إلينا رجلًا أمينًا» فقال: «**لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا حق أمين**» قال: «فاستشرف لها الناس قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح». رواه البخاري(رقم:٣٧٤٥) ومسلم(رقم:٢٤٢٠).

إحسان القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)

قال الله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[الأحزاب: ٣٣]،

وفي "صحيح مسلم"(رقم:٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» ثلاثًا.

وقوله: (فقد برئ من النفاق): لأنَّ أصل الرفض إنَّما أحدثه منافق زنديق هو: عبد

الله بن سبأ أظهر الإسلام، وهو يهودي ليطعنَ في الإسلام كما فعل بُولِص وكان ملكًا لليهود بدين النَّصرانية.

السلف الصالح

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الْخَيْرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لا يُذْكَرُونَ إِلا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)

قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]. وقال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥]؛

❖ فالصحابة والتابعون لهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلينا وإيضاح ما كان يخفى منه علينا.

الرد على الاتحاديين والروافض في تفضيل الأولياء على الأنبياء

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ)

في هذه الفقرة ردٌّ على أهلِ الاتحاد والروافضِ الذين يرونَ أنَّ الأولياء أفضل من

الأنبياء ويقول قائلهم:

مقـــــام النبــــوة في بـــــرزخ فويـــق الرســـول ودون الــــولي

وقائل هذا البيت ابن عربي من أهل وحدة الوجود ويقول الخميني قبحه الله ولعنه: إن الأولياء بلغوا مرتبة لم يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب.

الرد على المعتزلة في إنكارهم كرامات الأولياء

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ)

هذا فيه ردٌّ على المعتزلة الذين ينكرون الكرامات للأولياء قالوا: لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النَّبي بالولي، وذلك لا يجوز.

والجواب عن هذا: أنَّ هذه الدَّعوى إنَّما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النُّبوة، وهذا لا يقع ولو ادعى النُّبوة لم يكن وليًّا بل كان متنبئًا كذابًا قاله ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ. و**(الكرامة)** هي: الأمر الخارق للعادة؛ فإنْ كان على يد نبي فهي معجزة، وإنْ كان على يد ولي فهي كرامة، فالفرق بين المعجزة والكرامة أنَّ المعجزة مقرونة بدعوى الرِّسالة، والكرامة غير مقرونة بذلك.

الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة

أن الأول: سببه الإيمان والعمل الصالح. **والثاني:** سببه الكفر والفسوق والعصيان.**ثانيا:** أنَّ الأول يستعان به على البرِّ والتَّقوى أو أمور مباحة، والثَّاني يستعان به على الشِّرك، وقتل النَّفس وغير ذلك. **ثالثا:** أنَّ الأول يزداد بذكر الله، والثَّاني

يضعف بذلك. **رابعًا:** أنَّ الكرامات ليست من عمل الأولياء، وإنَّما هي خلق محض من الله، وأمَّا السحر والشعوذة فمن كسب السَّاحر.

أشراط الساعة الكبرى

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا)

قوله: (**ونؤمن بأشراط الساعة**) أي: علاماتها الدَّالة على قرب وقوعها قال سبحانه وتعالى ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾[محمد: ١٨] ينظرون أي: ينتظرون.

❖ **وهي على قسمين: صغرى وكبرى؛** فالصغرى قد حصلت، ومن الصغرى بعثة النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك، وأمَّا الكبرى فلم تحصل بعد.

وقوله: (**من خروج الدجال**): وهذه من أشراط السَّاعة الكبرى، وسمي الدجال من الدجل وهو: الكذب لكثرة كذبه، وسُمِّي المسيح: لأنَّه يمسح الأرض كلَّها إلا مكة والمدينة، وقيل: لأنَّه ممسوح العين. والدليل على خروجه:

❖ حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: «نَذْكُرُ السَّاعَةَ»، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ**

الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ». رواه مسلم(رقم: ٢٩٠١)، والأدلة على خروجه كثيرة. **وقوله: (ونزول عيسى بن مريم من السماء)**: تقدم الدليل على ذلك، وفي "صحيح البخاري"(رقم:٢٢٢٢)ومسلم(رقم:١٥٥):

❁ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

قوله: (ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها):

❁ روى البخاري(رقم:٤٦٣٥)، ومسلم(رقم:١٥٧) في "صحيحيهما" عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**».

قوله: (وخروج دابة الأرض من موضعها) تقدم الدليل على ذلك، وقال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل: ٨٢].

تحريم تصديق الكهان والعرافين

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

(وَلا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلا عَرَّافًا، وَلا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا»)

قوله: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا): لأنَّهم يدَّعون علم الغيب فمن صدقهم فقد

كفر؛ لأنَّ علم الغيب خاص بالله قال الله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل: ٦٥]، وقال تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٦ - ٢٧]، فمن سألهم وصدَّقهم كفر لهذه الأدلة.

❁ ولحديث: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» رواه أحمد(٢/صـ:٤٢٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وهو صحيح بشواهده.**

❁ ومن سألهم بدون تصديق لم تقبل له صلاة أربعين ليلة لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» رواه مسلم(رقم:٢٢٣٠)عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ومن سألهم اختبارًا وبيانًا لكذبهم عند النَّاس فهذا لا بأس به كما فعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مع ابن صياد فإنه قال له «: «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا**» ، قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**» »رواه البخاري(رقم:٣٠٥٥)ومسلم(رقم:٢٩٣٠)عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

❁ و(**الكاهن**) هو: الذي يدعي معرفة الأمور في المستقبل.

❁ و(**العراف**) هو: الذي يدعي معرفة موضع الضالة.

❁ و(**المنجم**) هو: الذي يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وقوله: (ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة): كادِّعاء النُّبوة، أو ادَّعاء علم الغيب، أو ادَّعاء الأخذ بالقرآن دون السُّنة، أو ادعاء بدعة، وذلك؛ لأنَّ الاعتماد إنَّما هو على الكتاب والسنة لا على غيرهما.

وقوله: (**ونرى الجماعة حقًا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابًا**): تقدم الكلام على هذا.

دين الإسلام

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَدِينُ الله فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلامِ، قَالَ الله تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، **وَقَالَ تَعَالَى** ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣]. **وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالْيَأْسِ؛ فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَآءُ إِلَى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ)**

قوله: (**ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩] وقال تعالى ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣]): **الإسلام**: عرفهُ شيخ الإسلام وأخذه عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب النَّجدي في "الأصول الثلاثة" أنه: الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشِّرك والبدع، قال الله تعالى﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥].

❁ **وهو دين الأنبياء جميعا**، والدليل:

❁ حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» رواه البخاري(٣٤٤٣)ومسلم(٢٣٦٥)

❁ ولكن شرائعهم متنوعة، والدليل قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

وَمِنۡهَاجٗا﴾[المائدة: ٤٨].

قوله: (**وهو بين الغلو والتقصير**): الغلو: مجاوزة الحدِّ، والتَّقصير: عدم أداءِ المطلوب كاملًا قال الله تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. **وقوله:** (**وبين التشبيه والتعطيل**): التَّعبير بالتَّمثيل أولى من التَّعبير بالتَّشبيه؛ لأنَّ الله نفى التَّمثيل في القرآن؛ فهذه الفقرة معناها: أنَّ دينَنَا في أسماء الله وصفاته الثَّابتة له بين التَّمثيل والتَّعطيل؛ فأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من غير تمثيل، وينزهونه تنزيهًا بلا تعطيل.

وقوله: (**وبين الجبر والقدر**) أي: أنَّ دين الله فيما يتعلق بأفعال الله بين الجبر والقدر فيثبتون تقدير الله عز وجل لكل شيء المتضمن للعلمِ والكِتابة والخلق والمشيئة ويثبتون للعبدِ قدرة ومشيئة واختيارًا داخلة تحت مشيئة الله قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩].

قوله: (**وبين الأمن والإياس**): فيه إشارة إلى الردِّ على الخوارج والمرجئة؛ فأهل السنةِ لا يكفرون بالمعصية إلا من استحلَّها، ولا يحكمون بالإيمان الكامل إلا لمن استحقه، فلا يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله بل يعتقدون أنَّ الإيمان يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية.

قوله: (**فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا**): (فهذا) الإشارة إلى كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا. **قوله:** (**ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه**): هذا ليس على إطلاقِهِ، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخطأ في بعض المواضِعِ، ولا يوافق عليها ولكنَّه مجتهدٌ مأجورٌ إنْ شاء الله.

ذكر بعض الفرق الضالة

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

(وَنَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَآءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِالله الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ).

قوله: (والمعتزلة): أتباع واصل بن عطاء الغزَّال أثبتُوا الأسماء ونفوا الصفات، وواصل هو: الذي وضع لهم الأصول الخمسة: العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ف**(العدل)**: عندهم هو نفي القدر.
- و**(التوحيد)**: نفي الصفات.
- و**(الوعيد)**: تخليد العصاة في النَّار، وأنَّه إذا توعد بعض عباده بوعيدٍ فلا بدَّ من تنفيذه. و**(المنزلة بين المنزلتين)**: أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر.
- و**(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**: الخروج على الحكام.

قوله: (والجهمية): هم أتباع الجهم بن صفوان نفوا الأسماء والصفات، فمذهبهم في الصفات: التَّعطيل والنَّفي، وفي القدر: القول بالجبر، وفي الإيمان: القول بالإرجاء فهم معطلة جبرية مرجئة.

قوله: (**والجبرية**): أصل قولهم من الجهم بن صفوان.

قوله: (**والقدرية**) أي: النُّفاة للقدر، وهم المعتزلة، وأول من أظهر القول بالقدرِ معبد الجهني تلقاه من رجل مجوسي في البصرة.

والحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهرس